



أيار - حزيران ١٩٥٣

العدد السابعة والأربعون

## الروم الملكيون في الإسلام

مقتل بطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس.

سنة ٣٥٦ للهجرة - ٩٦٧ للميلاد

حسباً له المكانة لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان

وبيليه

قسم من اخبار جثالة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

نشرها لأول مرة حبيب زيات عن نسخة يتيمة من القرن العاشر

المقدمة

لا يزال تاريخ البطارقة الملكيين في الإسلام في كراسيهم الثلاثة انطاكية والاسكندرية واورشليم غامضاً مجهولاً في اكثر ازماته المتقدمة لقلة من صرف النظر اليه او لتراوة الآثار التي انتهت اليئامه ونجت من نيران المحن

والحروب. ولا نعلم انه قام من الكتبة الملكيين من اهتم بجمع اخباره الدينية والدينية وحفظها في كتاب خاص كما فعل القاطرة في كتاب اخبار فطاركة كيسي المشرق من كتاب المجلد لمساري بن سليمان . والياقبة في تواريخ البطريك ديونيوس التلجيري وابن العبري . ميخايل في السريانية . والاقباط

في كتاب سير البطارقة لساورس ب. سمع . وغاية ما بلغنا من آثار الملكيين في اللسانين الرومي والعربي قصص من اشهر من النساك والجسا. والشهداء. والقديسين في مجاميع اطلقوا عليها اسم السنكسارات «synaxaria» وهي التي دعاها الاقباط الدلالات لدلالاتها على ايام الاعياد والتذكارات وعرفها المتأخرون من الملكيين باسم الدولاب. ولكن هذه المجاميع لا تخلو من المبالغة والانراط جاً للتغيب والتهويل ولا تبنى على مثلها حقيقة قاطعة لاثبات ما كان في الواقع الصحيح . واهم ما حفظه الرهبان والنساخ الملكيون في اللغة السريانية اصدا. ونتف من الاخبار والبعاءات قيدها في تضاعيف مخطوطات لهم وقورها على الاديوار الشامية وبقي منها في دير السيدة في صيدنايا من ضاحية دمشق بقية صالحة شاهدا بعض الزوار في اوائل القرن الثامن عشر وهي التي امر البطريك الرومي الارثوذكسي ايروتيوس ( ١٨٥١ - ١٨٨٥ ) باحراقها وتعمية آثارها «فخبروا عليها خبرتين» . وكنا اول من نرى فاجعة التاريخ بها وقبح فظيعة اثلافها وندب فداحة خسارتها لمعرفتنا حق المعرفة بظالماتنا بعض المخطوطات التي أغفلت منها ما كان في هوامشها وحواشيا والذيل المعلقة عليها باقلام كتابها وقراها من الفوائد والفرائد التي يُعَوَّل على نظائرها لتعريف ما تقدم من السيرة والاعمار وتمييز ما حُنَّ او تبج من الاعمال والاخبار .

وقد نبّه المسمودي . مؤلف مروج الذهب على قلة ما وقف عليه في زمانه من تواريخ الروم الملكية . وجاء من بعده سميذ بن بطريق بطريك الاسكندرية واقتصر في كتابه نظم الجوهر على تدوين ما علمه من الحوادث والكوائن السالفة باوجز عبارة وايسر شرح فلم يتجاوز المتداول منها في زمانه ولا استخراج شيئاً مما كان منسياً دفيناً في خبايا الاديوار والكتانس . ولعله كتم عمداً بعض ما كان يطمح منها تحرزاً من النعمة او تقية من السلطان كما فعل ابن العبري في تاريخه العربي « مختصر الدول » من الاجترار بايراد ما لا يتوجه عليه من اجله

انكار ولا يسو. قراءه العرب خلافاً لتاريخه الكني الذي كتبه بالريانية  
وتوسع فيه في الرواية لانه آمن اطلاق من كان يحشاه من الغرباء عن لقته .  
وخلف سعيد بن بطريق نسيه يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي وهو سيد من  
أرخ ووصف فائق بما لم يأت به احد من قب واقاض في رواية وقائع الدول  
وزموت الرجال ونقل من اخبار الروم والروس والبلنر والكرج ما يشبه ان يكون  
استمد بعضه من سجلات زمانه ودفاتر الدواوين السلطانية وانفرد به عن كل  
من تقدمه او اتى بعده من المؤرخين . ومن الشقاء وسوء حظ العلم ان يكون  
اقتصار في تاريخه على كتابة ذيل فقط على تاريخ سعيد بن بطريق دون ان  
يتناول منه البدء ويقيم ما كان ناقصاً فيه ويسدد اوهامه ويسد كل فراغ فيه  
كما عن له لاول وهلة كما قال . ولا نعلم ان احداً شئ على سنته في الاطلاع  
والتحقيق واحاط نظيره باخبار الشرق وحوادث الاعاجم من مزاحمي الروم  
البيزنطيين في المغرب . ثم ساءت احوال النصارى بعد وفاته وخيم الذل والشقاء  
عليهم وزهد الرهبان ورجال الدين في التدوين والتأليف فلم تنصرف عنايته  
ناقل او تاسخ منهم الى الفحص عن ماضي الكراسي البطركية الثلاثة وجمع  
ما تبدد من انباثا وسيرها بالاستناد الى ما كان خبيثاً في خزان الكنائس  
والاديار خلا التماس يولس الرعيم الحلبي في منتصف القرن السابع عشر وهو ابن  
البطريك مكاريوس ورفيقه في اسفاره وتنقلاته وراوية اراءه وانباثه وقد  
شارك والده في جميع ما عرّبه من الرومية او آلفه في العربية من التواريخ والاخبار .  
ومن اعجب فضائل هذا التماس انه كان حينئذ حلّ والى ابن رحل لا يكمل  
ولا يني في السؤال والتفتيش عن الكتابات والمخطوطات المحفوظة في زمانه  
ويستعين بمجاه والده لاستمارتها وينسخ منها بقله الرشيق كل ما يجد فيه فائدة  
او غرابة من تواريخ الشام وانطاكية ووطنه حلب خصوصاً ويتطلب المشيرور  
والمكثوم من قصص القديسين وسير الجباء والنسك مهما طالت واملت كسيرة  
مار سمان المصري الحلبي حتى اجتمع له من هذه المكتبات والمستمارات طائفة  
جليلة ساقها في نوبتها ومحلها في مجلد له كبير وقع لنا بخطه الجليل الحلبي وفيه  
لسر . الحظ بعض الحُرُوم اهمها الصفحات الاولى والاخيرة منها وبسقوطها فاتنا  
معرفة الاسم الصحيح الذي اطلقه على هذه السيفنة التاريخية وغاب عنا نص

الفاتحة التي صدرها بها ، ويظهر من مطالعة مضامين كتابه انه توخى عامداً تحذراً جمع اخبار انطاكية وبطاركتها ورجالها وهو ما رجّح عندنا تسمية هذا المجموع « تاريخ انطاكية » بينما تكشف لنا الايام اسمه الحقيقي .

ومن مزايا خطته في الجمع والنقل انه ضم الى كل خبر من الاخبار المروية بحسب السنين كل ما وجدته في معناها في المخطوطات الاسلامية والتدريسية والرومية التي كانت لديه او ما عرّبه له المترجم من المراسل الفرنجية الذين كانوا في ايامه يجلب . وذكر في كل مرة اسماءها واسماء مؤلفيها لتسهيل على القارئ مقابلتها ومعارضتها ويطلع على كل ما قيل فيها . وألحق بها ايضاً كل ما وقف عليه مما يتعلق بها او يكون في معناها من سيرة نادرة او نسخة يتيمة من كتاب عزيز الوجود ينقلها بأسرها دون ان تهوله كثرة الفصول وتعدد الصفحات مع الاشارة في الهامش الى ما في الاصل احياناً من حذف او اختصار فكل ما في مجموعته هو من اقوال غيره وليس له فيه قول خاص سوى ما استعاره مرة بعد اخرى لكلمة الاخبار او مقابلتها من تاريخ والده وتاريخه المسى بالدر المنظوم في اخبار ملوك الروم وهو معرب من الرومية .

ولا ينبغي عن كل من مارس قراءة المخطوطات ما في خطوط النساخ غالباً من التعريف وسوء الرسم لسوء الفهم والتباس المعنى على الناقل لقلة ضبط الكلم وإهمال النقط والاعجام بحيث يصعب احياناً على العالم نفسه الاحتداد الى الاصل ورده الى نصابه فكيف بمن كان كاشفاً قليل التطلع على قراءات اللغة واسرارها ولذلك لا يخلو نقل له من بعض تبصيف وخطا في القراءة والنسخ ولا سيما في ما حار نظره فيه من رسوم الحروف التي قرّضت بعضها الأرضة او بدلتها اقلام جهلة النساخ او ما كان بالياً او ممحواً اكل الدهر عليه وشرب من الاجزاء النادرة اليتيمة كثيرة مقتل البطريوك خريستوفورس الشهيد التي استمد منها يحيى بن سعيد في الذيل ما لحّصه في جملة اخبار سيف الدولة .

وفي هذه السفينة الحلبية قدّر لنا الحظ الظفر برواية قديمة من الذيل الحقّه يحيى بن سعيد الانطاكي بتاريخ البطريوك الاسكندري اتيثيوس المشهور بسعيد بن بطريق كما ذكرناه آنفاً وهو الذي طبعه سنة ١٩٠٩ الاب لويس شيخو باسمه واسم البارون كلاديفر وباسمنا بالاستناد الى نسختنا الثلاث ولكنه رحمه الله

انفرد بالتشيل والطبع . وكان على ما اتصف به من الحفظ وسعة الاطلاع  
 لا يكاد يذعن لرأي سواه ثقة بنفسه فجمات الطبعة بعيدة عن الكمال لا تتبرأ  
 من العيوب التي تجل عنها مقالة يحيى بن سعيد في التحقيق والفصاحة . ولذلك  
 لا تزال الحاجة داعية الى اعادة طبع الذيل واعمال الروية في ما اضطرب من  
 الفاظه لتصحيحها وهو اجل تاريخ للتصريات في الاسلام وقل جداً ان يضايه  
 في لطافته وجده تاريخ آخر في معناه في الشرق .

واهم ما علفت به يدنا من هذه اللقط الحلبية نص استشهاد البطريق  
 خريستوفورس في انطاكية ومقتله غدرًا بيد اعداء الامير سيف الدولة الحمداني  
 حصدًا له لمكانته من الامير وقبول الامير شفاعته في بعض عمولاء الاعداء . وهي  
 من انشاء احد شهود البطريق الميادين ممن نشأ في انطاكية وعرفه وهو صبي  
 واسمه ابراهيم بن يوحنا الأبرطسيتار *Ἀβρὴν τῆς Πύσης* وهذا اللقب من القاب  
 الروم البيزنطيين .

وكان ابراهيم بن يوحنا احد كتاب الروم المالكين في القرن العاشر ولد  
 في انطاكية ويقلب على الظن انه كان من اصل رومي لانه كان يكتب دائماً  
 بالرومية ويجيدها ثم يعرب بنفسه ما يكتبه تعريباً تدل بعض لهجته على انه  
 لا يخلو تارة من الفصاحة ولذلك اورد يحيى بن سعيد بلفظه دون تغيير . ثم  
 يضعف تارة اخرى او يتبهم في مواضع يغلب عليها الاسلوب الرومي فلا يجد في  
 محفوظه من اللغة العربية ما يؤدي به المعنى بما يرادفه من اوضاعها وتمايزها  
 الصحيحة فيأتي كلامه هجيناً يصعب جداً فهمه لاجراجه اياه في قالب اعجمي .  
 ولا شك ان لبعض الناح يسداً في تحريف الاصل زاد في الطين بلة وافقدنا  
 جانباً من فوائده التاريخية .

ولابراهيم بن يوحنا تعريبات شتى لبعض اقوال ابا الكنية وهي التي تدعى  
 عندهم ميامر منها ميسران الثاني عشر والثالث عشر لمار غريغوريوس الثالوثيوس  
 في مخطوط رقم ١٤٢ من مخطوطات يورجيا في خزانة الماتيكان ( الورقة ١٠١ )  
 وفي الخزانة نفسها مخطوط آخر يتضمن ميامر مار افرام (الورقة ١٧٢-١٨٤)  
 وفيه مديح تاله القديس غريغوريوس اسقف نيس في مار افرام ختم بيذه الحاشية :

«نقل هذا المديح الابريطياري الكاتب الملكي ابراهيم بن يوحنا الانطاكي واملأه من كتبه بالعربية من نسخة يونانية» ومن هذا المديح ايضاً نسخة في خزانة اكسفردي في اواخر المجمع 477 Marshi .

ريستدل من حاشية مخطوط الفاتيكان ان لقب الابريطياري لم يكن ليوحنا والد ابراهيم كما يُظن بل لابنه ابراهيم وسيأتي من اقواله في سيرة البطريكة الشهيد ما يزيد نفسه تعريقاً. وفي ختامها ايضاً تعداد ما كتبه كذاك من سيرة بعض رجال الدين في ما خلا استشهاد البطريكة خريستوفوروس.

ولما بلغ الثمان بولس من ذيل يحيى بن سديد خبر خريستوفوروس اتبعه على الاثر بنص الاصل الذي استند اليه يحيى في حكاية هذا الخبر من تعريب ابراهيم ابن يوحنا وكان قد وُفّق للمثور عليه في ابتداء بطريكية والده وهذه صورة ما قدمه في فاتحته قال :

«اعلم يا اخي اني في ابتداء بطريكية والدي وجدت هذا الخبر العجيب المفرد في اخر كتاب قدم جداً بخط سقيم غير منقوط واكثر كلامه ممحى ومؤكل من الهمز والرس . ولاجل ذلك فيه بعض امكنة قاضية ولم اجد له نسخة ثانية في كل بلاد العربية وديودخا وكنائسها فرأيت من الموجبات ابراده مثا في هذا المحل لانه تقيس جداً» .

ومن الغريب ان الثمان لم يحظر له قط ان يزور دير طورسينا في كل مدة بطريكية والده ولا يتبين لنا سبب هذا الهمال ولا ريب انه لو تيسر له هذا السفر لعاد من الدير وحقايقه ملأى من النوادر والتفاني وبينها نسخة اخرى من خبر البطريكة فيما بلغنا .

وكنا منذ خمس عشرة سنة لما وقع نظرنا على هذا الخبر الغريب وتأملنا ما اشتمل عليه من الاقوال والطرائف ادركنا فوراً ما له من الاهمية القصوى في تاريخ النصرانية عموماً والروم الملكيين خصوصاً وهمنا بنشره لاول وهلة ولكن اعترضنا في قراءته من التحريف والتشويه والتموض في المقن الذي تنازعه القدم والتم والتم ولم يبق منه احياناً الا اشباح الحروف ما لا يقوى على اصلاحه وحل حاجته وارجاعه الى ثوبه الاول الا من رُزق الكهانة او النبوة . فطويناها على عره املأ ان نتفرع تأملها واعمال النظر فيه على هيتنا او ان ترزقنا السادة اكشاف نسخة اخرى في طرافنا على الحزائن العربية في الغرب والشرق ولكن

خاب رجاؤنا من هذا القيل وعدنا من كل هذه الزيارات اشد يأساً وابعد طمأ  
في وجود ضالّتنا. وعقدنا النية حينئذ على ان ننشر ما لدينا على علاته وعيوبه.  
ثم بلغنا ان في دير طورسينا نسخة منه<sup>١</sup> فعرمنا للحال ان نرحل اليه متى امكنتنا  
الفرصة. واردنا قبل ان نخطا لزيارة الدير برخصة من رئيس الاساقفة فيه  
لنتسكن من قضاء الوقت الكافي لمطالعة ما في خزانة الدير من النوائد والفرائد  
وهي لا تزال سرّاً من الاسرار لصعوبة الرحلة الى الطور وتعذر المعيشة فيه  
الا باذن خاص. ولما توجه منذ ثلاث سنوات الى القاهرة الحبر الكامل كيريوس  
بطرس كامل مدور الماؤون البطريركي التمسنا منه ان يتكرم بالتوصل الى رئيس  
الدير بالسماح لنا بالزيارة والتفتيش في محفوظات الدير فاجاب رئيس الاساقفة طلبنا  
بغاية من اللطف والارتياح واجاب انه لا يقنع بهذه الزيارة بل يلجّ علينا  
بالمكوث في الدير كل المدة الكافية للاطلاع على ما في خزائنه من المخطوطات  
العربية التي لم يتفرغ احد من الزوار لدرسها والتنويه بما فيها من الضّرّف  
والتحف. وكنا وقتئذ بدمشق فاخذنا بالاستعداد للرحلة الى الطور ولكن  
فاجأنا لسوء الحظ ألم شديد تعذبنا عن المسير فاضطررنا والقلب مغمم من  
الحشرات الى تجنب هذا الخطر وارجأنا نشر الخبر الذي لدينا الى حين رجوعنا  
الى نيس. وتبيّن لنا بعد التردّي وطالة المطالعة ان لا بأس من طبع الخبر على  
عواره لان معظم ما تناوله التحريف والايام انا هو في الحقيقة من حشر الكلام  
وفضول المذاهب التي اطرأ بها المتشكّك فضائل البطريرك وتقواه وغيته وكرمه  
ومحاسن اخلاقه. وان ما التبس فيه من تفصيلها يُدرك بسهولة من جملتها.  
وصح عندنا ان كل ما عداها من تاريخ حياة البطريرك واعماله ووفاته وما كان  
في زمانه من الاحداث الجليلة واخبار جبالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد  
فارس وشيوخ الكنائس الملكية في المداين ومرور والشاش وروجرود - وهي  
واسطة العقد وطرفة الضّرّف. ولا ذكر لها في غير هذا الخبر - باقية على حالها

(١) بعد كتابة ما سبق وجدنا ذكر خبر مقتل البطريرك خريستوفوروس في المجموع  
رقم ٢٠٧ من جريدة مخطوطات دير طورسينا (١ ص ٧٣) *Catalogue of the Arabic  
Mss in the Convent of S. Catharine Compiled by Margaret Dunlop Gibson.*  
London, 1894.

وجدتها لم يمتدورها شي. من النقص والتصحييف ولا تحية لها بلى ولا سوس وهي  
جل عيون ما في هذا الاثر الفريد الذي خلده لنا فضل الكاتب ابراهيم بن يرحنا  
الانطاكي واجتهاد الشماس بولس الحلبي .

وبدلاً من سياقة هذا الخبر بمجروفه التي بلغتنا ومعانيها العديدة رأينا ان  
نلخص اهم ما ورد فيه من القوائد ليكون مستنداً يرجع اليه كل راغب في  
الوقوف على حقيقة تاريخ الروم الملكيين في الاسلام وحافظنا ما استطعنا على  
كلام المتن حيث لا خلاف فيه للاصول العربية ولا هجنة عليه من الرومية .



## رسالة للجاحظ

نشرها للمرة الاولى شارل بلا

استاذ في معهد الدراسات الاسلامية في باريس

المختار من كلام الجاحظ المحفوظ في مكتبة برلين<sup>(١)</sup> - المنقولة  
بضمير<sup>(٢)</sup> الان الى توبنجن (Tübingen) - عدة قطع من رسالة او  
رسائل<sup>(٣)</sup> وجهها الجاحظ الى شخصية عباسية لا يذكر اسمها غير  
انها بلا ريب أبو الوليد محمد بن أحمد بن ابي دؤاد ؛ فيدح فيها المرسل إليه  
ورأده القاضي الشهير وأخيراً الخليفة العباسي المعتصم .

أما هذه النسخة فقد جعلها صاحب المجموعة منفصلة عن بعضها ولكن ليس  
من المتبعدين انه اقتبسها من رسالة واحدة ؛ فيدل على ذلك تماسك الاجزاء  
ووحدة الفكر والتعبير ؛ ومهما كان من أمر فيبدو جلياً ان الاديب الذي قام  
بتلخيص الرسالة راعه بنوع خاص براعة الجاحظ وفصاحته حتى انتخب ما لا  
يفيد الا ان ناثراً نابهاً كان في اوائل القرن الثالث للهجرة يقدر على مباورة  
الشعراء في ميدان المديح كما انه اصح قادراً على مبارزتهم في ميدان الرثاء<sup>(٤)</sup>  
والهجاء<sup>(٥)</sup> .

فمن هذا الوجه لا تتخلو الرسالة من اهمية ولكننا لو لم نجد فيها اكثر من  
ذلك لما تكلفنا نشرها ولوضعناها جانباً - ولو موقفاً -  
ومع ذلك فما يستوقف النظر قول الجاحظ<sup>(٦)</sup> : « إني أيدك الله قد ألفت

(١) رقم ٥٠٣٣ في فهرست Ahlwardt ؛ لقد فحصنا عن هذه المخطوطة ففصلنا محتوياتها  
في مقال سيظهر في المجلة الألمانية Oriens إن شاء الله -

(٢) من ظهر الصفحة ١٧ إلى ظهر الصفحة ٤٦

(٣) انظر الرسالة التي نشرها طه الحاجري في (الكاتب المصري) ، يونيو ١٩٢٦

(٤) انظر الرسالة التي نشرها طه الحاجري في (الكاتب المصري) ، شباط ١٩٢٧

(٥) ص ٢٩

كتاباً احتجت الى عرضه عليك واستشارتك فيه « دون أي إشارة الى اسم الكتاب أو بعبارة أصح دون ان يحتفظ صاحب المجموعة بما يوضح هذا القول. فلحسن الحظ قد أتيت لنا ان نفحص عن مخطوطة أخرى محفوظة في مكتبة داماد ابراهيم باشا<sup>١</sup> فشاهدنا اتفاقاً جزئياً فيما بين نحر النص الاول وبين رسالة من رسائل المجموعة الثانية موسومة بنفي التشبيه ويظهر عند الفحص والتأمل ان أصل النصين واحد وهو رسالة طويلة أرسلها الجاحظ الى ابي الوليد يطلب منه - جوهرياً - المساعدة على « تخليد » كتابه في « الرد على المشبهة<sup>٢</sup> » ؛ فالطلب غارق في مديح متدفق .

هكذا يلوح ان صاحب نسخة برلين تناول الرسالة فاختر ما عساه ان يكون غاذج حية من الفصاحة الجاحظية وأسقط معظم الاعلام والايات والاشارات إلى حوادث سياسية او دينية بيد ان صاحب المختار الاخر لم يتم الا بالنصف الثاني فجعله رسالة مستقلة « في نفي التشبيه » ؛ وبفضل تداخل المختارين أمكنتنا إقامة نص موضح بمكان<sup>٣</sup> .

فان اعتبرنا ما ورد من ذكر أبي الوليد وحدثه<sup>٤</sup> ومن ذكر المقصم وخلافته حق لنا القول إن تاريخ الرسالة يتراوح بين سنة ٢١٨ وستة ٢٢٧ للهجرة ؛ ففي تلك المدة كان الجاحظ ، على ما نخبرنا به المؤرخون ، يتصل بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات ويحل عن منافسه القاضي احمد بن ابي دؤاد ؛ فتناقض رسالتنا هذا الحبر اذ نرى الجاحظ يبذل جهوده للانتداب الى ابن ابي دؤاد ويندح ابنه ابا الوليد ويراسله ويحاول تحقيق غرضه بصورة حاذقة

(١) رقم ٩٦٩ من وجه الصفحة ١٠٦ الى ظهر الصفحة ١١٣ ؛ راجع بمجموع رسائل الجاحظ ، ط . Krous والملاجرى ص د - هـ -

(٢) ضاع هذا الكتاب الوارد ذكره في الحيوان ج ١ ص ٩ ؛ أما رسالتنا فلم تذكر البتة لاشخاصية غير سدة للشر .

(٣) لا شك في ان جميع آثار الجاحظ جديرة بالشر والبحث غير اننا اقتصرنا على النصف الذي ورد في نسخة داماد ابراهيم باشا .

(٤) لا نعرف تاريخ ولادته بل نعلم انه كان نائباً لابييه منذ سنة ٢١٨ فلهذا كان حيثق في الشرين من عمره ؛ راجع L. Messignon في wzkx سنة ١٩٦٨ و ' Encyclopédie de l'Islam مادة أحمد .

وذلك انه يقتسم فرصة نادرة هي وضع كتاب في مسألة كلامية لا تهم ابن الزيات بقدر ما تهم قاضي القضاء لانها داخلية في صلاحياته ؛ فان ابن ابي دؤاد كان رئيس المحكمة المنشأة بعد ان صار الاعتقال ديناً رسمياً وبصفته هذه كان من واجبه ان يقنع كل مخالفة ويمنح المتهمين والمرتبين ويكافع النظريات والمذاهب المعادية للعقيدة الرسمية ويقنع اصحاب السنة - او الحشوية كما يسميهم الجاحظ - اذ كانوا يعارضون المعتزلة في الصفات وخلق القرآن من جهة وفي مرقفهم السياسي من جهة اخرى حيث انهم يتمصبون لمعاوية ويقاومون العباسيين<sup>(١)</sup> .

فدري الجاحظ - وان لم نعتبره كاتباً رسمياً او شبه رسمي - يؤلف عدة رسائل في هذه المشاكل المهمة منها الرد على المشبهة ومنها كتاب العرب والموالي اذ كانت نزاع الجهم تريد في خطورة الحالة السياسية ؛ ثم يعرض جميع هذه الكتب - وبالأقل الكتابين المذكورين<sup>(٢)</sup> - على ابي الوليد ويستشيريه فيها قائلاً انه يريد ان يساعد ولاية الامر على تطبيق السياسة العباسية ويضع بين ايديهم جميع الحجج التي يحتاجون اليها ؛ وإلى جانب ذلك يذمي الجاحظ الى غاية اخرى تظهر بين السطور وهي أن يدنو الى ارباب العقد والحل فينتفع باحسانهم وصلاتهم .

فلا تكاد تأتي هذه الرسالة بأخبار جديدة ووثائق بديعة عن آراء الجاحظ السلفية لكنها تجعلنا نتدرج الى إدراك نفسيته وتصرفه ولولا فيها الا ذلك لكأنت جديدة بالشر .

Ch. Pellat

(١) راجع مقالة لحبيب الزيات في المشرق سنة ١٩٣٨ ص ٤١٠ - ٤١٥ عنوانها التبع لمعاوية في عهد العباسيين ورسالة الجاحظ في النابتة ( او : في بني امية ) وترجمتها التي ستظهر من قريب في الجزائر إن شاء الله .

(٢) النابتة مزجعة ايضاً الى ابي الوليد فيخبره فيها المؤلف بأخبار كتابه في العرب والموالي .

## بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١)</sup>

أطال الله فناء<sup>(٢)</sup> وحفظك وآتم<sup>(٣)</sup> نعمته عليك وكرامته لك

قد عرفت - أكرمك الله - ما كان الناس فيه من القول بالتشبيه والتعاون عليه والمعاداة فيه ، وما كان في ذلك من الإثم الكبير والفرية الفاحشة ، وما كان لأهله من الجماعات الكثيرة والقوة الظاهرة والسلطان المكين ، مع تقليد العوام وتبيل البفلة والطعام ؛ وليست للخاصة قوة بالعام ، ولا للعلية قوة على الأردال ؛ وقد قالت الأوائل فيهم وفي الاستعاذة بالله منهم ؛ قال علي بن أبي طالب - رحمه الله عليه - : « نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملكوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا » ؛ وقال واصل بن عطاء<sup>(٤)</sup> : « ما اجتمعوا إلا ضرؤا ، ولا تفرقوا إلا نفعوا » ؛ قيل له : « قد عرفنا مضرة الاجتماع ، فما منفعة الافتراق ؟ » ؛ قال : « يرجع الطيآن إلى تطيئنه وإحسانك إلى حياكته والملاح إلى ملاحته والصائغ إلى صياغته وكل إنسان إلى ضاعته ، وكل ذلك مرفق للسلين ومعوقة للمحتاجين » ؛ وكان عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - إذا نظر إلى الطعام والحشر<sup>(٥)</sup> قال : « قبح الله هذه الوجوه التي لا تعرف إلا عند الشراء » ؛ وقال الحريري<sup>(٦)</sup> عند ذكره إياهم في شعره بالتعادي مع المخلوع<sup>(٧)</sup> :

- ١- من البرادي<sup>(٨)</sup> يرأها<sup>(٩)</sup> ومن الـ تجوص إذا استلأت معافرها
- ٢- لا الرزق تبغي ولا العطاء<sup>(١٠)</sup> ولا يحشرها بالعناء<sup>(١١)</sup> حاشرها<sup>(١٢)</sup>

- (١) قد استملنا الرمز في الآتين : د = خطوط دأمد إبرايم باشا ؛ ب = خطوط برنين
- (٢) د : بقاء . (٣) د : عطا
- (٤) كذا وعادة الملاحظ أن يقول : الحشرة .
- (٥) أبو يعقوب اسحق بن حسان الحريري شاعر أدب معاصر للملاحظ ؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخل .
- (٦) المخلوع = الأمين .
- (٧) د : والطبري : البرادي وليس لها معنى مرضي .
- (٨) د : يرأها . (٩) د : العطا (١٠) العبري : للناء .
- (١١) من المشرح ؛ فوردت القصيدة الأولى في تاريخ الطبري ، سنة ١٩٧

وقال شبيب بن شيبه<sup>(١)</sup> : « قاربوا هذه السفلة وابعدها ، وكونوا معها  
وفدقوها وأعلموا أن القلبة أين كانت معه ، وأن المقهور من صارت عليه » ،  
وقد وصفهم بعض العلماء فقال : « يجتحمون من حيث يفترون ، ويفترون من  
حيث يجتمعون ، لا يقل غريبهم إذا صالوا ولا تنجع فيهم الحيلة إذا هاجروا » .  
والعوام - أبقاك الله - إذا كانت نشرًا ، فأمرها أيسر ومدة هيجها أقصر ؛  
فإذا كان لها رئيس حاذق ومطاع مدبر وإمام معاد ، فعند ذلك ينقطع الطمع  
 ويموت الحق ويُقتل المحق ؛ [د : وجه ١٠٧] فالولا أن لهم متكلمين وقصاصًا  
متفهمين وقومًا قد باينوهم في المرفة بعض المايينة ، لم يلحقوا بالخاصة ولا بأهل  
المرفة التامة ، ولكننا كما نخافهم نرجوهم<sup>(٢)</sup> وكما نشفق<sup>(٣)</sup> منهم نطعم فيهم .  
ثم قد علمت ما كنا فيه من إسقاط شهادات الموحدين وإخافة علماء  
المتكلمين ؛ ولولا الكلام لم يقم<sup>(٤)</sup> لله دين ولم ينب<sup>(٥)</sup> من الملحدن ولم يكن  
بين الباطل والحق فرق ولا بين النبي والمتنبي فضل ، ولا يانت الحجة من الحيلة  
والدليل من الشبهة ؛ ثم لصناعة الكلام مع ذلك فضيلة على كل صناعة ومزية  
على كل أدب ، ولذلك جعلوا الكلام عيارًا على كل نظر وزمامًا على كل  
قياس ؛ وإننا جعلوا له الأمر وخضوه<sup>(٦)</sup> بالفضيلة لحاجة كل عالم إليه واستغناؤه عنه .  
فلم نزل<sup>(٧)</sup> - أكرمك الله - كذلك حتى وضع الله من عزهم ونقص من  
قوتهم - وليس لأمر الله مرد ولا لقضائه مدفع - ، وحتى تحول إلينا رجال  
من قادتهم ومن أعلامهم والمطاعين فيهم ، وارتب قوم وناق آخرون ، وحتى  
تحولت المحنة عليهم والتقية فيهم ؛ وذلك كله على يد شيخك وشيخنا<sup>(٨)</sup> بعدك  
- أغرّه الله - بما بذل من جهده وعرض من نفسه وتقرّد بتكوده وغرغ  
مُرادَه صائرًا على جسّه ، يرى الكثير في ذلك قليلًا والإغراق تقصيرًا وبذل  
النفس يسيرًا ، على حين خان كل بطل وجار كل مقدم وعرد كل رئيس

(١) د : شيب بن شيبه ؛ شبيب بن شيبه بن بصرى شهير ، راجع اليان للجاحظ .

(٢) د : ونحوم .

(٣) د : نطق .

(٤) د : نزل .

(٥) د : نطق .

(٦) أي القاضي أحمد بن أبي دواد .

(٧) د : نطق .

وأصاب كل متبصر وطاح كل نفاج واستخفى كل مُراء<sup>(١)</sup> ، وحتى صاروا هم الذين يشيرون عليه بالملاينة ويحتشنون عنده المقاربة ويخوفونه العاقبة ويؤمنون أن لكل زمان تدييراً<sup>(٢)</sup> ومصلة وأن إبعادهم أنفر لطبائعهم وأن لإطلاقهم أنجع فيما يُراد منهم ، وحتى سئروا المداهنة مداراة وإعطاء الرضى تقية والشدة عند الفرصة خرقاً والانحياز<sup>(٣)</sup> مع صواب الإقدام رفناً وموالاته المخالف مخالفة والمصافاة مطاشرة والمهانة جلاً والضعف<sup>(٤)</sup> في الدين<sup>(٥)</sup> احتمالاً ، كما سنى قوم التيرار انحيازاً والبخل اقتصاداً والباطل مستقصياً والبلاء عارضاً والحطّل بلاغة .

فكذلك [ د : ظهر ١٠٧ ] كانوا وكان ، وعلى هذا اتفق أمرهم وذلك مشهور عنهم ، ثم يصول أحدهم على من شته ويعالم من شتم ربه ، وينضب على من شبه أباه بعبده ولا ينضب على من شبه الله بخلقه ، ويؤمن أن أحاديث المشبهة ، تأويلًا ومجازًا ومخارج<sup>(٦)</sup> حق<sup>(٧)</sup> وصدق : فإذا قيل [ ..... ]<sup>(٨)</sup> طلب لهذا المجاز ، ظلم وقال ما يليق بلفظ الحديث ، فتكون شهادته<sup>(٩)</sup> لصحة أحاديثهم مبراً فيصير فيما يدعي من خلاف تأويلهم مدعياً ؛ ولو كانت هذه الأحاديث حقاً ، كان قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : « هيفشو الكذب بسدي ، فما جاءكم من الحديث فأعرضوه على كتاب الله » باطلاً ؛ فهذا المذهب لمن يتنحل طريقتنا ويسلك - بزعمه - سبلنا ، جورٌ شديد ومذاهب تبیحة وتقرّب<sup>(١٠)</sup> فاحش ؛ وليس ينبغي لديان<sup>(١١)</sup> أن يواذ من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم ؛ فتي إذا رَوّل التقية ويجب إظهار الحقّ والنصرة للدين والمباينة للمخالفين حتى<sup>(١٢)</sup> يوت الخضم ويبيد أثره ويهلك عقبه ويقلّ ناصره ويذول جميع الخوف ويكون على يقين من السلامة ؟

(٨) د : ياض في الاصل قدره كلشان

واللفظ : فإذا قيل له : بين مقالك

وانت بتاريل هذا المجاز الخ

(٩) د : سهدته .

(١٠) د : تقرب .

(١١) د : لديان .

(١٢) د : حين .

(١) د : مراى .

(٢) د : بدون تقط .

(٣) د : الاعصار .

(٤) د : والصب .

(٥) د : الدين .

(٦) د : مخارجا .

(٧) د : وإضا حق .

وكيف يكون القائم حينئذ<sup>(١)</sup> بالحق مطيعاً وفقه مطيعاً [.....]<sup>(٢)</sup> فقد سقطت المحنة وزالت الباري والمشقة ؛ وهل المعصية إلا ما مازجه الهوى والشهوة، وهل الطاعة إلا ما شابه<sup>(٣)</sup> المكروه والكلفة ؟ وكيف يُتَكَلَّف ما لا مؤونة فيه وكيف يُجهد ما لا مَؤْرية عليه ؟ وكيف يكون شجاعاً مَنْ تقدّم في الأمن وتكتن في الخوف ؟ أو ليست النار مخوفة بالشهوات ؟ أو ليست الجنة مخوفة بالمكاهة ؟ وكيف صاروا في باطلهم أيام قُدرتهم أقوى منا في حقنا أيام قُدرتنا ؟ وقد علمت - أرشد الله أمرك - أن التشبيه وإن كان أهله مقووعين ومهاملين وممتحنين ، فإن عدد الجماع على حاله وضمير أكثرهم على ما كان عليه ، والذين ماتوا قليل من كثير ؛ ونحن لا ننتفع بالمنافع ولا نستعين بالمراتب ولا نثق بالجانح ؛ وإن كانت المباداة قد نقصت ، فإن القلوب أفدُ تماً<sup>(٤)</sup> كانت ؛ وقد كانوا يتشكلون [د: وجه ١٠٨] على السلطان والقدرة وعلى العدد والثروة وعلى طاعة الرعاع والسفلة : فقد صاروا اليوم إلى<sup>(٥)</sup> المنازعة أميل وبها أكلف ، لأنهم حين ما تبتوا<sup>(٦)</sup> في التهور بالخشوة [أو] السفلة وبالصناع وبالباعة وبالولاية الفسقة ، وقلوبهم<sup>(٧)</sup> تمتلئة ونفوسهم هانجة ، ولا يد لمن كانت هذه صفته وهذا نعته من أن يستعمل الحيلة والحجة إذا أعجزه البطل<sup>(٨)</sup> والصولة ؛ وكل من كان غيظه يفضل عن حيله وحاجته تفضل عن قناعته ، فواجب أن ينكشف<sup>(٩)</sup> قناعه ويظهر سره ويبدو مكنته .

وقد أطمعني فيهم مناظرتهم لنا ومقايستهم لأصحابنا وقد صاروا بعد السبّ يمجنون وبعد تحريم<sup>(١٠)</sup> الكلام يجالسون وبعد التصام يستمعون وبعد التجليح يُدارون ، والعامّة لا تقطن لتأويل كتبها ولا تعرف مقارنتها : فقد مالت إلينا على قدر ما ظهر من ميلنا وأصفت لما ترى من استماعها .

وقد كتبت - مدّ الله في عمرك - في الردّ على المشبهة كتاباً لا يرتفع

(١) د : حينذ .

(٢) د : ياض في الأصل .

(٣) د : شابه أو شانه .

(٤) د : ما .

(٥) د : على .

(٦) د : بدون نقط .

(٧) د : كذا ولعل الصواب : كانت قلوبهم

(٨) د : بدون نقط .

(٩) شكف .

(١٠) د : بدون نقط .

عنه الجاذق المستغني<sup>(١)</sup> ولا يرتفع عن الرّيح<sup>(٢)</sup> المبتدئ<sup>(٣)</sup>.  
وأكثر ما تعمد<sup>(٤)</sup> عليه العامة ودعما. أهل التشبيه من هذه الأمور ويشمل<sup>(٥)</sup>  
عليه الفضل من حشوة الناس ويخندع به المحدثون من الجمهور الأعظم، تحريف<sup>(٦)</sup>  
آي كثيرة<sup>(٧)</sup> إلى غير تأويلها وروايات كثيرة إلى غير معانيها؛ وقد بينت ذلك<sup>(٨)</sup>  
بالوجه القريبة والدلالات المختصرة وبالأشعار الصحيحة والأمثال السائرة،  
واستشهدت الكلام المعروف والقياس على الموجود، وهو مع ذلك كله كتاب  
قصد ومقدار عدل، لم يفضل عن الحاجة ولم يقصر عن مقدار البنية، على أن  
الكلام لا ينبغي أن يكثر - وإن كان حشأ كله - إذا كان السامع لا  
ينشط له<sup>(٩)</sup> ويجاز قدر احتماله، لأن غاية التكليم إقناع<sup>(١٠)</sup> المستمع.

وقد قال الألوكون: «قابل الموعظة مع نشاط الموعوظ خير من كثير وافق  
من الاستماع نبوة ومن القلوب [د: - ظهر ١٠٨] ملالة»؛ قال بكر بن  
عبدالله المزني<sup>(١١)</sup>: «ليس الواعظ من حمل أقدار السامعين وإجابة المرتدين وملالة  
المستغفرين»؛ وقال علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - : «إن هذه  
القلوب تمل كما تمل الأبدان: فأبتغوا لها طُرْف الحكمة»؛ وقد كان يقال:  
«إن للقلوب شبرة وإقبالا وفرة وإديارا: فأثرتها من حيث شهوتها وإقبالها»؛  
وكان يقال: «إذا أكرم القلب عمي»؛ وقال واصل بن عطاء: «طول  
التحديث يكل الناظر وناظر القلب أضعف منه»؛ وزعم عمر بن أبي [د: ...]<sup>(١٢)</sup> قال:  
«قال قامة بن زهير<sup>(١٣)</sup> رزحوا<sup>(١٤)</sup> هذه القلوب [د: ...] من الذكر»؛ وقال عبد  
الملك بن قُرَيْب<sup>(١٥)</sup>: «قال أبو الدرداء<sup>(١٦)</sup>: إني لأستجبه نفسي ببعض الباطل

- |                         |                                           |
|-------------------------|-------------------------------------------|
| (١) د: المستغني.        | (٩) بكر بن عبدالله المزني تابعي شهير توفي |
| (٢) د: الرّيح.          | سنة ١٠٨؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلا.       |
| (٣) د: بدون نقط.        | (١٠) د: كلمة غير مفروضة.                  |
| (٤) د: ويشمل أو ويشهد.  | (١١) قامة بن زهير تابعي بصري؛ انظر        |
| (٥) د: كثير.            | الإصابة رقم ٧٢٨٦                          |
| (٦) د: روجوا.           | (١٢) د: روجوا.                            |
| (٧) د: كلمة غير مفروضة. | (١٣) د: كلمة غير مفروضة.                  |
| (٨) د: للأصل.           | (١٤) هو الأصمعي.                          |
| (٩) د: إقناع أو استماع. | (١٥) أبو الدرداء الصحابي الشهير.          |

كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يلزم<sup>(١)</sup> ؛ وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد ابن أبي وقاص - رضي الله عنهما - وهو بالقادسية أن « جيئهم حديث الجاهلية فإنه يذكر الأحقاد ، وعظهم بأيام الله ما نشطوا لاستماعها » ؛ وقالوا : « كان رسول الله - صامم - يتخولنا بالموعظة » ؛ ولذلك أمروا بالجهم وزيارة النب ، ورؤوا أن « شر السير الحفحة<sup>(٢)</sup> » ؛ ولأن ينقص الكتاب عن مقدار الحاجة أحب إلي من أن يفضل عن مقدار القوة لأن الملاة تبغض الجميع وتُرهد في الكل .

فأنا<sup>(٣)</sup> أسألك -- أكرمك الله<sup>(٤)</sup> -- أن تنظر في هذا الكتاب وتقرأ ما خف عليك منه<sup>(٥)</sup> ؛ فإن كان<sup>(٦)</sup> كما - وصفت وكما ضمنت<sup>(٧)</sup> ، حدثت<sup>(٨)</sup> على قراته وعلى اتخاذه وعلى تخليده وعلى تدوينه<sup>(٩)</sup> وأمرت من يحتاج إلى المادة وإلى حسن المعرفة<sup>(١٠)</sup> من الواقفين ومن<sup>(١١)</sup> الإخوان الصالحين أن ينظروا فيه وأن يبينوه<sup>(١٢)</sup> ويشعروه<sup>(١٣)</sup> ؛ وقد كنت أنا<sup>(١٤)</sup> على ذلك قادراً وبه مستوصياً، ولكن الرجل الرفيع إذا رفع [ ب : ظهر ٤٢ ] الشيء ارتفع ، كما أنه إذا وضع الشيء اتضع ؛ وإن كنت فيه غلطاً أو لعلته مستكثراً كان لك ، بحسن نيتك وصلاح مذهبك والذي رجوت عنده من المنفعة وصلاح<sup>(١٥)</sup> قلوب العامة ، الأجر الكبير والثواب العظيم مع ما يتخني بذلك من ذمام المتجرم بك والمتحلي من نيتك [ د : وجه ١٠٩ ] ومع اليد البيضاء والصنيع المشكور<sup>(١٦)</sup> .

وحرام على كل<sup>(١٧)</sup> متكلم عالم وقيه مطلع وخطيب مغر ، وإن كان<sup>(١٨)</sup>

- |                                  |                                |
|----------------------------------|--------------------------------|
| (١) د : فاكها ، وقد اخترنا رواية | (٩) ب : وتدوينه فقط .          |
| البخل . ( ط . المجري ص ١٢٠ )     | (١٠) د : الدونة .              |
| والحيوان ج ٣ ص ٧                 | (١١) سقط من د .                |
| (٢) انظر اشبال البديني ( ط . سر  | (١٢) د : بدون فقط .            |
| ١٣٥٢ ج ٢ ص ٢٧٦                   | (١٣) ب : سقط من : وإن يبينوه . |
| (٣) ابتداء ب وجه ٤٢              | (١٤) سقط من ب .                |
| (٤) سقط من ب .                   | (١٥) لعل الصواب وإصلاح .       |
| (٥) سقط من ب .                   | (١٦) ب : سقطت الجنبلة من : وإن |
| (٦) د : فإن يصلح الكلام كان .    | كنت فيه غلطاً .                |
| (٧) ب : كما وصف .                | (١٧) سقط من ب .                |
| (٨) د : جث .                     | (١٨) د : كلف .                 |

عنده من هذا الأمر شي: إلا أن ياتيكم<sup>(١)</sup> به ويذكر لكم<sup>(٢)</sup> ما<sup>(٣)</sup> عنده، قل ذلك أم<sup>(٤)</sup> كثر، وصادف منكم شغلاً أو فراغاً، لأن ذلك من عندكم أنفق والناس إليه أسرع والقلوب إليه أسكن<sup>(٥)</sup> وهو<sup>(٦)</sup> في الميون أعظم، لما جعل الله عندكم من حسن<sup>(٧)</sup> الاختيار<sup>(٨)</sup> والعلم بمنافع العباد<sup>(٩)</sup> ومصالح البلاد<sup>(١٠)</sup>، إذ كنتم المئزر والمئتمع والآية<sup>(١١)</sup> والمئزر<sup>(١٢)</sup>؛ ولولا ما قلّدتكم من أمر الجماعة والقيام<sup>(١٣)</sup> بشأن الخاصة والعامة، وإن الشغل برعاية حثها والدفاع عنها لم يبق في<sup>(١٤)</sup> قواكم فضلاً للدعاء، والمنازعة ولوضع<sup>(١٥)</sup> الكتب بالجواب<sup>(١٦)</sup> والمسألة، تبدأ بكم الفرض<sup>(١٧)</sup> ولكنتم أحق بهذا الأمر، على أننا لم ننطق إلا بالستكم ولم<sup>(١٨)</sup> نحتج إلا<sup>(١٩)</sup> على مثالككم ولم نقول إلا بما أعتقونا من فضل قوتكم؛ وحرام على العلماء من الفقهاء والمتكلمين<sup>(٢٠)</sup> وعلى الرواة من [ب: وجه ١٣] الأدباء وعلى أهل اللسان من الخطباء ترك<sup>(٢١)</sup> معاونتكم ومكانتكم<sup>(٢٢)</sup> والجلوس بين أيديكم والاستماع منكم؛ وعليهم<sup>(٢٣)</sup> أن يطيعوا أمركم وأن ينفذوا طاعتكم وأن يخلصوا<sup>(٢٤)</sup> في الدعاء وأن يحضروا النصيحة<sup>(٢٥)</sup> وأن يضرروا غاية المحبة<sup>(٢٦)</sup> وأن يصلوا في نفى<sup>(٢٧)</sup> النل والحسد وأن لا يرضوا من أنفسهم بالنفاق في أمركم<sup>(٢٨)</sup> وأن يعلموا أن الحسد لا يقع إلا بين الأشكال وأن التنافس

- |                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) سقط من د .                   | (١٥) ب : من .                    |
| (٢) ب : إلا أناكم .              | (١٦) ب : ووضع .                  |
| (٣) ب : وذكر لكم ؛ د : ويذكركم . | (١٧) ب : والجواب .               |
| (٤) د : بما .                    | (١٨) سقط من ب .                  |
| (٥) د : اود .                    | (١٩) ب : غيظ الأمور إلا .        |
| (٦) سقط من ب .                   | (٢٠) د : سقط .                   |
| (٧) د : ومكوفي .                 | (٢١) سقط من د .                  |
| (٨) سقط من ب .                   | (٢٢) ب : ومكانتكم ونصح ايضاً .   |
| (٩) د : الاختيار .               | (٢٣) د : وعلى .                  |
| (١٠) ب : البلاد .                | (٢٤) د : بدون قط .               |
| (١١) ب : العباد .                | (٢٥) ب : في النصيحة .            |
| (١٢) ب و د : الآية (٢) .         | (٢٦) ب : وإن يصبروا على المحنة . |
| (١٣) سقط من ب .                  | (٢٧) د : كفى .                   |
| (١٤) ب : ومن أمر القيام .        | (٢٨) سقط من د .                  |

لا يكون إلَّا مع تقارب الحال ؛ وقد كان يقال : « لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا » ، فإذا تفاوتوا هلكوا ؛ وكان يقال : « ثلاثة توجب الضغن وتكثر من القتل : المجاورة في المنزل والاستواء في النسب والمشاركة في الصناعة » ؛ ولذلك قال شيب بن شينة لرجل ادعى محبته ونصيحته : « وكيف لا تكون كما وصفت وكما ذكرت ولست بخطيب ولا جار قريب ولا ابن عم فسيب » وقال بعض الحكماء : « لو لم تعرفوا من أئمة الحمد إلَّا أنه موكل بالأذى فلا أدنى<sup>(١)</sup> ولا<sup>(٢)</sup> يقع ذلك<sup>(٣)</sup> بين المتباينين<sup>(٤)</sup> ولا يكون إلَّا في المتقاربين<sup>(٥)</sup> ، ولا يكون الطلب<sup>(٦)</sup> إلَّا بالطع ولا يكون الطمع [ د : ظهر ١٠٩ ] إلَّا بالسب : فإذا انقطع السب انقطع الطمع<sup>(٧)</sup> وفي عدم الطمع [ عدم ] الطلب<sup>(٨)</sup> ؛ وكيف يتكلف الطيران من لا جناح له<sup>(٩)</sup> وكيف يرجو إصلاح<sup>(١٠)</sup> أمر العامة<sup>(١١)</sup> وترتيب الخاصة<sup>(١٢)</sup> من قد تجز عن تدبير نفسه<sup>(١٣)</sup> وقصر عن تقويم<sup>(١٤)</sup> عبده ؟ وإنصاف اللسان قليل وإنصاف القلب أقل منه .

« ونحن نرغب إلى الله في صلاحهم ، فإن في صلاح قلوبنا لهم<sup>(١٥)</sup> ؛ [ ب : ظهر ٩٣ ] وقد جعل الله الشكر موصولاً بالمزيد ، ومن الشكر على نعمة الله<sup>(١٦)</sup> علينا بكم أن نعظم<sup>(١٧)</sup> ما عظم الله من أمركم ، ومن صغر ما عظم الله فقد عظم ما صغر الله ، ولا يفعل ذلك إلَّا الصغير القدر والحامل الذكر والجاهل<sup>(١٨)</sup> بالأمر .

وكيف لا تكونون على ما خبرت<sup>(١٩)</sup> وكما وصفت وقد أغنيتم من العيلة وأنتم من الوحشة وجمعتم الشل<sup>(٢٠)</sup> وأعدتم الآلة<sup>(٢١)</sup> ورددتم الظلame وأحيتم

- |                                       |                       |
|---------------------------------------|-----------------------|
| (١) ب : سقطت الجملة من : وقد كان يقال | (١٠) ب : الخاصة       |
| (٢) سقط من ب                          | (١١) سقط من ب         |
| (٣) د : وليس                          | (١٢) د : يش           |
| (٤) ب : الحمد                         | (١٣) د : تدبير        |
| (٥) د : ولا يجوز في المعارض           | (١٤) سقطت الجملة من ب |
| (٦) ب : الظلم                         | (١٥) سقط من ب         |
| (٧) ب : أو من عدم الطلب               | (١٦) ب : أو الجاهل    |
| (٨) ب : ليس له جناح                   | (١٧) ب : من الشل      |
| (٩) د : صلاح ؛ سقط من ب               | (١٨) ب : من الآلة     |

السنة . وأتمتم البدعة<sup>(١)</sup> وأبرتم التوحيد بعد اكتماله<sup>(٢)</sup> وأظهور قوته بعد استخفافه واحتلتم عداوة الجميع دوننا<sup>(٣)</sup> ووترتم الطاعنين<sup>(٤)</sup> في نفوسنا<sup>(٥)</sup> ، ونحن لا نطالب ما كنتم تياماً ولا نذكر ما كنتم شهوداً ؛ ونحن مع قلة علمنا لا نجد أبداً<sup>(٦)</sup> غفلنا<sup>(٧)</sup> إلا مقصراً عن علمنا ، وأنتم مع اتساع علومكم<sup>(٨)</sup> ، أعمالكم فوق<sup>(٩)</sup> علومكم ؛ لأن كل من بذل مجهوده وخاطر بجميع نعمته وكانت الواحدة من نعمه كالجميع من نعم غيره مع خذلان الموافق ونكوص الموارر ثم لم ترده الشدائد إلا شدة والوحدة أفة ، حقيق بالفضل والتعظيم والإبانة له بالتقديم<sup>(١٠)</sup> .

ولعل قائل أن يقول : ولم<sup>(١١)</sup> أدخله [ ب : وجه ١٤ ] في جملة صفات أبيه ورجلة مشيخته وأقربيه حيث خصهم<sup>(١٢)</sup> بالتقديم وأبائهم بالتعظيم ، بل كيف يقدم من صفات<sup>(١٣)</sup> سنه وقلت تجربته ، على من تقدمت<sup>(١٤)</sup> سنه وكثرت تجربته<sup>(١٥)</sup> ، وكيف يتمكن الطاعة الكبيرة في الأيام القصيرة والشهور<sup>(١٦)</sup> اليسيرة . وهل يقول ذلك صاحب تحصيل ومقايسة والبميز من الملحق والمخادعة ؟<sup>(١٧)</sup>

وما قلت ذلك - حفظك الله - ولا انتحلته إلا وبرهاني<sup>(١٨)</sup> ظاهر<sup>(١٩)</sup> وشاهدي [ د : وجه ١١٠ ] حاضر<sup>(٢٠)</sup> ؛ وذلك أن للشباب<sup>(٢١)</sup> سكرة<sup>(٢٢)</sup> وطولاً وقراءاً وصولة<sup>(٢٣)</sup> ، والمهرم<sup>(٢٤)</sup> داخل على<sup>(٢٥)</sup> جميع الأعضاء . وأخذ يتسطه

- |                       |                                    |
|-----------------------|------------------------------------|
| (١) سقط من د          | (١٤) د : انفارت                    |
| (٢) ب : اكتماله       | (١٥) ب : سقط من : على من           |
| (٣) سقط من د          | (١٦) ب : الشهوة                    |
| (٤) د : الطاعنين      | (١٧) سقطت الجملة من ب              |
| (٥) د : تقويته        | (١٨) ب : وهو برهاني                |
| (٦) سقط من ب          | (١٩) د : حاضر                      |
| (٧) ب : علما          | (٢٠) د : شاهد                      |
| (٨) د : قلوبكم        | (٢١) د : ان للشباب ؛ ب : ان الشباب |
| (٩) د : وفي           | (٢٢) ب : سكر                       |
| (١٠) سقطت الجملة من ب | (٢٣) ب : وطاح وصولة وقراع          |
| (١١) سقط من د         | (٢٤) ب : والكهر                    |
| (١٢) ب : خصهم . الله  | (٢٥) ب : في                        |
| (١٣) ب : صغر          |                                    |

من جميع الأجزاء ؛ ألا ترى كيف بكل<sup>(١)</sup> ناظره وسامعه وذائقه وشامه  
وهاضمه<sup>(٢)</sup> وعامله ، وكيف تنتقص على مرور الأيام قوته ، وكذلك قلبه وكل  
ما بطن من أمره ؟ وعلى<sup>(٣)</sup> قدر ما ينتقص<sup>(٤)</sup> من قوى جسمه وينقص<sup>(٥)</sup> من قوى  
شهوته ، تحف<sup>(٦)</sup> عليه مخالفة هواه ومحاربة<sup>(٧)</sup> فواضعه<sup>(٨)</sup> ؛ فن<sup>(٩)</sup> حمل على نفسه  
في كمال<sup>(١٠)</sup> شبابه وأيام سكرته<sup>(١١)</sup> وفي سلطان حدائته<sup>(١٢)</sup> وكمال قوته<sup>(١٣)</sup> ،  
فطلّتها<sup>(١٤)</sup> مرة وكبحها<sup>(١٥)</sup> مرة أخرى [ ب : ظهر ٤٤ ] وعانى<sup>(١٦)</sup> تلك التكاليف  
وغلب تلك الريح (؟) ، كان أمرن<sup>(١٧)</sup> طاعة إذ كان أحمل للشقّة ؛ وعلى قدر  
المشقة تكون المثوبة وتعظم عند الله المثقلة وتقع له في قلوب الناس<sup>(١٨)</sup> المحبة ؛  
ولذلك قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لسعد بن أبي وقاص حين وجهه  
إلى العراق : « يا سعد بن وقاص ، إن الله إذا أحب عبداً حبّبه إلى خلقه ؛  
وتكبر<sup>(١٩)</sup> مثلك من الله بمثلك<sup>(٢٠)</sup> من الناس ، وأعلم أن ما لك عند الله مثل  
ما لله عندك<sup>(٢١)</sup> ؛ ونحن نمتدح حالك عند الله بالذي نجد لك<sup>(٢٢)</sup> في قلوب  
عباده ، وقد ملّك الله بعض الناس أبدان بعض ولم يملّك القلوب أحداً غيره .

وأما قولهم إن التزادة<sup>(٢٣)</sup> مقرونة بالحدائنة والحسكة موصولة بطول التجربة ،  
فإن الذهن الجديد والطبع الصحيح والإزادة الرافعة تنال في الأيام اليسيرة  
وتدرك في الدهور القصيرة ما لا تدركه<sup>(٢٤)</sup> العقل المزوجة<sup>(٢٥)</sup> والطباع<sup>(٢٦)</sup> المدخولة

|                                     |                                     |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) د : نكلتها أو فطلّتها           | (١) ب : يسل                         |
| (١٥) ب : ونكحها                     | (٢) د : وعاشه                       |
| (١٦) د : وغابن                      | (٣) د : على                         |
| (١٧) ب : أوزن                       | (٤) د : تنقص                        |
| (١٨) ب : البعاد                     | (٥) ب : ينتقص                       |
| (١٩) د : وكبّر                      | (٦) ب : يجب                         |
| (٢٠) د : مدون فقط                   | (٧) ب : مجاذبة                      |
| (٢١) ب : سقطت الجلسة من : ولذلك قال | (٨) د : مرادعه                      |
| (٢٢) سقط من ب                       | (٩) د : لمن                         |
| (٢٣) د : التزادة                    | (١٠) ب : أيام                       |
| (٢٤) ب : تناله                      | (١١) سقط من ب                       |
| (٢٥) د : المخروجة                   | (١٢) د : حدثه ؛ ولعل الصواب : يحدثه |
| (٢٦) د : ولا الطباع                 | (١٣) د : قويه                       |

والإرادة الناقصة في الأيام الكثيرة والدهور الطويلة<sup>(١)</sup> ؛ وربما صادف التقابل<sup>(٢)</sup> مع ذكائه وكثرة قوابله<sup>(٣)</sup> وجودة اعتباره زماناً أكثر عجباً وأكثر معتبراً ، وإن كانت شهوره أقل وأيامه أقصر ، فينال مع قلة الأيام ما لا ينال سواه مع كثرتها ولا سيما [ د : ظهر ١١٠ ] إذا أعين بحفظ وأجده من نفسه بفضل بيان ؛ وليس من نظر في العلم على الرغبة والشهوة له كمن نظر فيه على المكسبة به والقرب<sup>(٤)</sup> إليه ، لأن النفس لا تسع بكل قواها إلا مع النشاط والشهوة ، وهي في سرى ذلك لنفسها مستكرهة ولها مكابدة ، والسآمة إلى من كانت هذه صفته أقرب وله ألزم ؛ ولولا ذلك لما ولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل<sup>(٥)</sup> اليمن وحمل إليه قبض الصدقات ومحاسبة العتال وقلده الأحكام وتعليم<sup>(٦)</sup> الناس الإسلام وهو ابن ثمانين<sup>(٧)</sup> عشرة سنة ، لا يدفع ذلك صاحب خبر ولا حامل أثر ؛ وعلى مثل ذلك عقد لأسامة بن زيد<sup>(٨)</sup> الإمرة وأبانه بالتقدمة على جلّة الأنصار وكبار المهاجرين وخيار السلف المتقدمين ؛ وعلى مثل ذلك ولى عتاب بن أسيد<sup>(٩)</sup> مكة وبها عظمه قریش وكبراء<sup>(١٠)</sup> العرب وذوون الأخطار من كل قبيلة وذوو الأسنان من كل جيل ، ومكة فتح الفتوح وأتم القرى وخاتمة الهجرة وقبلة العرب وموضع الحرم والموسم الأعظم والحج الأكبر والأصل والفخر ؛ وقد رأينا ما بلغ مخلد بن يزيد<sup>(١١)</sup> في السؤدد والمجبة وقود الجيوش والهيبة وهو ابن خمس عشرة سنة ؛ وقد ذكر ذلك الكندي بن زيد<sup>(١٢)</sup> فقال<sup>(١٣)</sup> :

*Encyclopédie de l'Islam*

(٩) عتاب بن أسيد صحابي توفي سنة ١٣ ؛

انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء .

(١٠) د : ولبراء

(١١) مخاد بن يزيد بن المهلب قائد للجيش ؛

انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٧٥

و ٢٥٥

(١٢) الكندي بن زيد شاعر مات سنة

*Encyclop. de l'Islam* ؛ راجع

(١٣) من الكامل ؛ فاليتان في الأغاني

ج ١٥ ص ١٢٨

(١) انتهى ب

(٢) د : التقابل

(٣) د : قوائله

(٤) د : بدون فظ

(٥) معاذ بن جبل صحابي شهير توفي سنة

١٨ ؛ انظر المعارف لابن قتيبة ص ١١١ ؛

والإصابة رقم ٨٠٣٧ ؛ والنهذيب

للإروى ص ٥٥١-٥٦١ الخ

(٦) د : وسيلم

(٧) د : ثمان

(٨) أسامة بن زيد مولى النبي ؛ انظر

١- قاد الجيوش لحسن عشرة حجّة ولدائه عن ذاك في أشغال  
٢- قعدت بهم هناك وسما به همّ الملوك وسورة الأبطال

فأما ابن بيض<sup>(١)</sup> فقال :

١- بلغت لشر مضت من بينك ما يبلغ السيد الأشيب  
٢- فهلك فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلبوا

وعلى مثل ذلك قال الفرزدق<sup>(٢)</sup> في يزيد بن المهلب :

١- ما زال مُدْعَدَتُ يده إزاره ودنا وكان بخسة الأشبار  
٢- وإذا الرجال رأوا يزيد رأيهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

[ د: وجه ١١١ ] وعلى هذا المجزى مدح الشاعر<sup>(٣)</sup> من مدح فقال :

ما زلت في عقل الكبير وأنت في سن الصغير

وقد رأيتم ما بلغ محمد بن القاسم<sup>(٤)</sup> من الفتوح العظام والآيام الجسام  
والقهر الأعداء وبلوغ المحبة في الأولياء وهو ابن خمس عشرة سنة ؛ وقد  
ذكر ذلك زياد الأعجم<sup>(٥)</sup> فقال :

١- ما أن سمعت ولا رأيت حجة كمحمد بن القاسم بن محمد  
٢- قاد الجيوش لحسن عشرة حجّة ما قرب ذلك سرددا من مولد

وقال الآخر :

إذا المرأ أعينته المرأة فاشأ فطلبها كهلاً<sup>(٦)</sup> عليه عيب

الامريين ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

(١) حمزة بن بيض شاعر كوفي ؛ راجع الاغانى ج ١٥ ص ١٥-٢٦

(٢) من المتأرب ؛ يمدح في البيتين يخلد ابن يزيد ؛ انظر الاغانى ج ١٥ ص ١٥

(٣) من الكامل ؛ راجع الديوان ( ط الصاوي ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٧٨ ) حيث

جاء : فدنا قادرك خمسة الاشبار ؛ راجع ايضا الخزانة للبغدادى ( ج ١

ص ١٩٠ وما يليها )

(٤) يزيد بن المهلب من القادة والولاة

(٥) من الرجز ولا نعلم من قائله  
(٦) محمد بن القاسم فاتح السند ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

(٧) زياد الأعجم شاعر اموي ؛ انظر الآداب العربية لـ Nallino

(٨) من الكامل

(٩) من الطويل ولا نعلم من قائله

(١٠) د : كهل

وقال الآخر<sup>(١)</sup> :

- ١- إذا ما ترعرع فينا الفلام فليس يقال له من هوة
- ٢- إذا لم يند قبل شذر الإزار فذلك فينا الذي لأهوة
- ٣- ولي صاحب من بني الشيبان<sup>(٢)</sup> فطوراً أقول وطوراً هوة

وزعموا أن عمرو بن سعيد<sup>(٣)</sup> قال له معاوية ، وذلك قبل أن يبلغ ويحتلم :  
« إلى من أوصى بك أهلك ؟ »

قال : « إن أبي أوصى إلي ولم يرص<sup>(٤)</sup> بي ! » - قال : « فهم أوصاك ؟ »  
- قال : « أوصاني ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه » .

ولو لم يعرف ذلك إلا بعد الله بن عباس وحده<sup>(٥)</sup> كان دليلاً كافياً<sup>(٦)</sup>  
وبرهاناً شافياً ؛ فإن الأعجوبة فيه أربّت على كلّ تجب وقطعت كلّ سبب ،  
وقد رأيت حاجة عمر<sup>(٧)</sup> إليه واستشارته إياه وتقديره له<sup>(٨)</sup> - رضى الله عنهما -  
وتعبيره عليه ؛ ولو لم يكن للفضيلة من بين أقرانه مستحاً وبها [د : ظهر ١١]  
مخصوصاً ما ختّه الرسول - صلعم - بالدعوة المستجابة ولما ختّه بهلم الكتاب  
والسنة ، وهما أرفع العلم وأشرف الفكر ، وبدلك على تقديره للنداية وإيثاره  
لالتمايم والاستبانة قوله حين قيل له في حديثه وقبل البلوغ في سنه : « ما اندي  
آترك هذا العلم وهذا البيان والفهم ؟ » - قال : « قلب عقول ولان سؤؤل ! » .  
وقد عرفتم تحاكم العرب في الجاهلية في الثغرة وفي غير<sup>(٩)</sup> ذلك من  
الخبرة<sup>(١٠)</sup> والمشاورة إلى أبي جحبل بن هشام<sup>(١١)</sup> في أيام حديثه وفاته<sup>(١٢)</sup> ولذلك  
أدخلوه دار الندوة ودفع ذوي الاسنان والحكمة من بين جميع الثبان ومن

(١) من المتنازب ؛ والآخر هو حسان (٢) د : يوصى

ابن ثابت ؛ انظر الديوان ص ٤٢٢ (٣) د : وجده

والديوان ج ٦ ص ٢٣١ وقار القلوب (٤) د : ذلك كافياً

للتأني ص ٥٥ ؛ فالشيبان شيبان (٥) اي عمر بن الخطاب

الشاعر (٦) اي عثمان بن عفان

(٧) د : الشيبان (٨) د : عمر

(٩) عمرو بن - بيد الاشدق قائد اموي (١٠) د : المخبرة او المخيرة

قتله عبد الملك سنة ٧٠ ؛ راجع (١١) راجع Encyclopédie de l'Islam

(١٢) د : وفاته Encyclopédie de l'Islam

بين جميع الفتيان ؛ ولذلك قال قُطَيْبَةُ بْنُ رِسَّانٍ<sup>(١)</sup> حكيم قَزَّارَةٌ حين تنافر إليه عامر بن الطفيل<sup>(٢)</sup> وعَلَقْمَةُ بْنُ عَلَانَةَ<sup>(٣)</sup> : «عليكم بالجديد»<sup>(٤)</sup> الذهن الحديث السن « يعني أبا جهل ؛ فهذا كله دليل واضح وبرهان يتن .  
ولعل قائلًا أن يقول : « إغما الفضل في خشونة المأكل وجشوبة<sup>(٥)</sup> الملابس ، وليس ذلك لمن مدحت ولا هذه رقة من وقفت<sup>(٦)</sup> » بهر هذا باب - أبقاك الله - قد يغلط فيه العاقل ما لم يكن بارعاً والفقير ما لم يكن ثاقباً والأريب ما لم يكن كاملاً ؛ ولو كان الفضل والرئاسة والقدر والنباهة على قدر كشف الجِلْدَةِ<sup>(٧)</sup> وبذاذة الهيئة وكثرة الصوم وإيثار الوحشة والسياسة ، لكان عثمان ابن مظعون<sup>(٨)</sup> متقدماً لأبي بكر الصديق - رضوان الله عليه - ولكان بلال ابن رباح<sup>(٩)</sup> غامراً لعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - ؛ وقد قال ابن شهاب الزهري<sup>(١٠)</sup> : « ليس الناسك<sup>(١١)</sup> إلا من غلب الحرام صبره والحلال شكره » .  
فهذا<sup>(١٢)</sup> ما حضرنا من القول وأمكننا من الاحتجاج ، وما أشك أن من خبر<sup>(١٣)</sup> أمرك بأكثر<sup>(١٤)</sup> من اختبائي كان<sup>(١٥)</sup> عنده أكثر من علمي ، على<sup>(١٦)</sup> أن - ينظرك [ د : وجه ١١٢ ] - أسعدك<sup>(١٧)</sup> الله - يُنتهي عن الخبر [ ب : وجه ٤٥ ]

(١) هذه النسخة معروفة ؛ انظر مثلاً : Caussin de Perceval, *Essai*

(٢) عامر بن الطفيل شاعر جاهلي ؛ راجع *Encycl. de l'Islam*

(٣) علقمة بن علانة عداؤه في الصحابة ؛ راجع الإصابة رقم ٥٦٦٩ ؛ والإغاني ج ١٥

ص ٥٠-٥٦ ، والتهذيب للنووي ص ٤٢٢ الخ

(٤) د : بالجديد

(٥) د : وجشونة

(٦) د : وصفت

(٧) د : مشف للجِلْدَةِ

(٨) عثمان بن مظعون صحابي مشهور بزمه ؛ راجع الإصابة رقم ٥٢٥٣ ؛ والتهذيب

للنووي ص ٤١٤-٤١٥ الخ

(٩) بلال بن رباح مؤذن النبي ( وفي د : رباح ) ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

(١٠) ابن شهاب الزهري محدث شهير مات سنة ١٢٤ ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

(١١) د : أكثر

(١٢) د : الناس

(١٣) ب : أن يكون

(١٤) استثناف ب

(١٥) ب و د : وعلى

(١٦) ب : خير

(١٧) ب : إبقاك

والفراصة فيك تكفي مرونة<sup>(١)</sup> التجربة لك .

وقد تقبلت<sup>(٢)</sup> - بحمد الله - أخلاق شيخك \* كما تقبل شيخك أخلاق  
أشياخه<sup>(٣)</sup> واحتذيت<sup>(٤)</sup> على مثاله كما احتذى<sup>(٥)</sup> على مثال من كان<sup>(٦)</sup> قبله ؛  
ولو لم يتعقبوا<sup>(٧)</sup> أمرك ويتصنعوا سيرتك في نفسك ثم في خاصتك وعامتك ،  
لكان في صدق الفراسة وظهور المحيلة<sup>(٨)</sup> ما يقضى به المتفرس<sup>(٩)</sup> ويستدل به  
المتجرب<sup>(١٠)</sup> ؛ وظن العاقل كيقين غيره ؛ قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :  
« من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بعقله<sup>(١١)</sup> » ؛ وقال أوس بن حجر<sup>(١٢)</sup> :

الألمعي الذي يظن بك الـ ظن كأن قد رأى وقد سما<sup>(١٣)</sup>

وقال وهو يمدح ابن كلدانة<sup>(١٤)</sup> بصدق الحس وصواب الحدس وجودة الظن<sup>(١٥)</sup> :

أريب أديب آخر مأزق<sup>(١٦)</sup> نقاب<sup>(١٧)</sup> يخبر بالنائب

وقال آخر<sup>(١٨)</sup> يمدح بمثل ذلك عبد الملك بن مروان<sup>(١٩)</sup> :

١- رأيت أبا الوليد غداة جمع به شيب وما فقد الشبا

٢- ولكن تحت ذاك الشيب حزم إذا ما ظن أمرض<sup>(٢٠)</sup> أو أصاب

(١) أوس بن حجر شاعر جاهلي ؛ انظر

*Encyclopédie de l'Islam* ؛ فاليت

- من المنسرح - موجود في الحيوان

ج ٣ ص ٥٩ وفي ديوان الماني ج ١ ص ١٤٠

(١٣) انتهاء بـ

(١٤) الحارث بن كلدانة طبيب العرب في

آخر الجاهلية ؛ انظر ترجمتنا لكتاب

البيخلاء

(١٥) من المتقارب ؛ فورد في الحيوان ج ٣

ص ٦٠ ؛ مليح نجيح . . . بمحدث القالب

(١٦) د : مارق

(١٧) د : سانا

(١٨) الآخر هو كثر عزة

(١٩) من الزافر ؛ راجع الديوان ط .

Pères ج ٣ ص ٦٨

(٢٠) د : اعرض ؛ وامر ص = كاد يصيب

(١) د : مرمد

(٢) د : فمكت

(٣) سقط من د

(٤) ب : اخذت

(٥) ب : اخذ

(٦) سقط من ب

(٧) د : سفوا

(٨) د : المحبة

(٩) د : النفوس

(١٠) د : المجرب

(١١) د : انك لن تنتفع بمنه حتى تنتفع

بظنه ؛ راجع ديوان الماني للمسكري

(ج ١ ص ١٤٠) ؛ وقالت الحكماء :

لا ينتفع الرجل بمنه حتى ينتفع بظنه

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَتَذَكَّرُ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ ظَنُّهُ ﴾<sup>١</sup> ، وقال : ﴿ إِنْ بَغَضَ الظَّنَّ إِنْهُمْ ﴾<sup>٢</sup> وفي ذكره البعض دليل على أن سائر ذلك صواب وطاعة .

وكان من أسباب رفعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبدالله<sup>٣</sup> - أكرمهم الله - أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرى واحدًا ، ولأنك ، وإن كنت كثير الشغل ، فهو أقل فراغًا منك على كثرة شغلك وفرط عنايتك بما استكفأك واسترعاك ، وإن جعلت لي قسًا من وقت فراغك ونصيًا من ساعة نشاطك وجرت<sup>٤</sup> أن تصير إلى ما أملناه عنده مع الإتيان عليّ والاستمران لشكري ؛ فإن العرب لم تعظم شيئًا قط كتعظيمهم موقع الإتيان والشكر والأحدوة الحسنة والذكر [د : ظهر ١١٢] والتبشير والاستعداد للنعيم ، والكفر حائل بين الرد والبد<sup>٥</sup> ؛ قال عنزة<sup>٦</sup> :

تُبِتْتُ بِشَرِّ غَيْرِ شَاكِرٍ نَسِيٍّ وَالْكَفْرُ مَحْبَبَةٌ لِنَفْسِ الْمُتَعِمِّ  
وقال السندي<sup>٧</sup> :

١- فلم أجز بالحسنى وعادت مشاوري بلاقع يقرؤها الحام المفرق

٢- تبدلت بالإحسان سرًا وربما تنكر للعروف من كان بكثرة

ويدل على جهنم للشاء وجعل الذكر قول الأسدي<sup>٨</sup> :

فإني أحب الخلد لو استطعته وكالخلد عندي أن أموت ولم أَلَمْ

(١) سورة ٣٧ آية ١٩

(٢) سورة ٢٩ آية ١٣

(٣) أحمد بن أبي دؤاد يكنى أبا عبدالله

(٤) د : وحوت

(٥) د : البدى

(٦) من الكامل ؛ البيت من مائة ( عمرًا بدل « بشرًا » ) ؛ راجع خزائن البندادي

ج ١ ص ٢٠٤ وما يليها

(٧) له أبو عطاء السندي ؛ راجع الاغانى ج ١٥ ص ٨١ - ٨٧ ؛ البيت الثاني موجود

في البخلاء ( ط . الحاجري ) ص ٧٨

(٨) من الطويل ؛ انظر الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥

وقال<sup>(١)</sup> :

فأنتروا علينا لا أباً لأبيكم بِنَمَاتَا إِنَّ الثَّناَ هُوَ الْخُلْدُ

وقال النُّنُو<sup>(٢)</sup> :

فَإِذَا بَلَغْتُمْ أَهْلَكُمْ فَتَحَدَّثُوا إِنَّ الْخَدِيثَ مَهَالِكٌ وَخُلُودٌ

فجسولوا الذكر بالجميل مثل الخاود في النِّيم ، وعلى هذا المعنى قال<sup>(٣)</sup> في  
دَرْكِ الثَّنا<sup>(٤)</sup> :

فَتَقْتَلَا بِتَقْتِيلٍ وَعَشْرًا بِعَثْرِكُمْ جَزَاءَ الْعَطَاشِ لَا يَمُوتُ مِنْ أَتَأَرُ<sup>(٥)</sup>

وقال حكيم الفُرس حين بلغه موت الإسكندر وهو قاتل دارا بن دارا :  
« ما ظننتُ أن قاتل دارا يموت » ؛ وهذا القول هو له أمدح منه لقاتله ، ولم  
أسمع للعجم كلمة قط أمدح منها ؛ فأما العرب فقد أصبتُ لهم من هذا الضرب  
كلاماً كثيراً .

ومما يدل على عَظَمِ الشكر عند الشاكر والمشكور له من العرب قول  
أوس بن حَجَر في جليته :

سَنَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنَّا [ مَدِيحُنَا ]<sup>(٦)</sup> وَغَسْبُكَ أَنْ نُشْعِي عَلَيْكَ وَنُحْمَدِي  
وقال بعض الشعراء<sup>(٧)</sup> :

[ د : وجه ١١٣ ] فلم أجزه إلا الشكر جاهداً وحسبك مني أن أقول فأحدنا  
وكانوا يرون للذكر (?)<sup>(٨)</sup> ما لا يراه غيرهم ؛ قال امرؤ القيس بن 'حجير'<sup>(٩)</sup> :  
وجرحُ اللسان كجرح اليد . . . . .

(١) من الطويل ؛ فالبيت سزى الى الحادثة في الحيوان ج ٣ ص ٢٧٥

(٢) من الكامل ؛ فالبيت موجود في الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥ :

فَإِذَا بَلَغْتُمْ أَرْضَكُمْ فَتَحَدَّثُوا من الحديث متالف وخلود

أما النُّنُو فهو طُفَيْلُ النُّنُو ؛ أعر جامل ؛ راجع Brockelmann

(٣) أي مهمل ؛ راجع الحيوان ج ٣ ص ٤٧٦ (٤) من الطويل

(٥) د : ورد البيت كما يأتي :

مَمْلًا مَغْتِيلًا وَعَفْوًا لَعْفُوكُمْ حَرْدُ الْعَطَاشِ لَا يَمُوتُ

(٦) زبادة تقتضيها إقامة الوزن (٧) د : الذنب أو الذنب

(٨) من الطويل ولا نعلم من قائله (٩) من التفارب وصدر البيت :

ولو عن نثا غيره جامل في

وقال جرير<sup>(١)</sup> :

وللّيف أسرى وقه من لساننا

في أشعار كثيرة .

ولست<sup>(٢)</sup> أمت إليك - أكرمك الله<sup>(٣)</sup> - بعد التوحيد ونفي النشيه  
ونصرتي للدين بأمر أنا به أوثق من رغبتك في شكر الكرام والأحدثة  
الحسنة ؛ قال الله - عز وجل - " لنبيه - صلعم<sup>(٤)</sup> - : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ  
ذِكْرَكَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، ( ب : ظهره : )  
" وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> ؛ فلو كان  
حب الذكر خطيئة لما رغبهم فيه " ولما عدّه<sup>(٨)</sup> في نفسه .

ولل قائلًا أن يقول : « وكيف لم<sup>(٩)</sup> يذكر أمير المؤمنين \* المتصم برب<sup>(١٠)</sup>  
العالمين الذي \* حقق الله به الدين<sup>(١١)</sup> وسدّ به الثور<sup>(١٢)</sup> " وردّ به المظالم<sup>(١٣)</sup>  
وحسم<sup>(١٤)</sup> به عرق البغي ونواجم الفتنة ، الذي لم يزل الله<sup>(١٥)</sup> يزيده في كل طرفه  
محبة ومع كل محبة هبة ومع كل نعمة شكرًا ومع كل شكر فضلاً ،  
وهو المبتدئ لهذا الأمر \* والدال عليه<sup>(١٦)</sup> والقائم به ، والقطب الذي عليه تدور  
الرحى وعلى مثاله احتذى \* من احتذى<sup>(١٧)</sup> ولسانه نطق وعن رأيه صدر ويؤمن  
تقيده<sup>(١٨)</sup> ظهير وبفضل قوته نهض<sup>(١٩)</sup> وهو أول هذا الأمر ووسطه وبه يتم أمره<sup>(٢٠)</sup>  
إن شاء الله تعالى » ، قلنا إن عقل الرسول يدلّ على مُرسله<sup>(٢١)</sup> واعتدال القناة

(١) يظهر أن هذا عجز بيت من الطويل (١٢) تريد ب : وردها

غير أنا لم نشر عليه في ديوان جرير (١٣) سقط من ب

(٢) استئناف ب (١٤) د : وحسم

(٣) سقط من ب (١٥) سقط من ب

(٤) سقط من د (١٦) سقط من د

(٥) سورة ٩٤ آية ٤ (١٧) سقط من ب

(٦) سورة ٩٣ آية ٤٣ (١٨) د : مسته

(٧) سورة ٣١ آية ١٠ ، سقطت من د (١٩) ب : علق

(٨) د : ولا عد (٢٠) سقط من د

(٩) ب : ولم (٢١) اشارة الى قول محمول على علي بن

(١٠) د : والمتصم نور ابن طالب : رسولك ترجمان عفاك ؛

(١١) ب : حقق الله به الدماء انظر امثال الميداني ج ٢ ص ٤٢٢

يدل<sup>(١)</sup> على حذف<sup>(٢)</sup> المثقف<sup>(٣)</sup>، ومديحنا<sup>(٤)</sup> [ب : وجهه<sup>(٥)</sup>] الوزير<sup>(٦)</sup> راجع إلى من اختاره<sup>(٧)</sup> ومديحنا له غير راجع إلى وزيره والمختذي على مثاله<sup>(٨)</sup>؛ بل قد علم الناس أن الحظ<sup>(٩)</sup> الأكبر \* والنصيب الأوفر<sup>(١٠)</sup> للأمر دون المطيع والمعلم<sup>(١١)</sup> دون القابل<sup>(١٢)</sup>، لأن<sup>(١٣)</sup> المسبب في عدالة العقول<sup>(١٤)</sup> وعند<sup>(١٥)</sup> النظر والتحصيل أفضل من المسبب<sup>(١٦)</sup> والمتبوع خير من التابع؛ ألا ترى أن من مدح الأنصار فهو \* للنبي - صلعم -<sup>(١٧)</sup> وللمهاجرين أمدح \*، وإن لم يثأر ذكرهم في الرصف<sup>(١٨)</sup> ؟ [د : ظهر ١١٣] قال جرير<sup>(١٩)</sup> :

[ نبيهم قرشي والأنصار الصابرين ؟ ]  
وقال رؤبة<sup>(٢٠)</sup> :

[ ومن على المنبر . . . . والمنبر ؟ ] .

وربما كانت الكناية أبلغ في التظيم وأدعى إلى التقديم من الإفصاح والشرح<sup>(٢١)</sup> ولربما أبان<sup>(٢٢)</sup> السكوت<sup>(٢٣)</sup> عما يجز عنه القول وقد يبلغ<sup>(٢٤)</sup> [المروء] أقصى حاجته وغاية أمنيته بالإيحاء والإشارة حتى يكون تكلف القول فضلاً والكلام خطأ ؛ [ ولربما كان اللسان أتقن من السنان وأقطع من الياف اليباني ] -<sup>(٢٥)</sup> .

- |                                       |                                   |
|---------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) ب : دليل                          | (١٣) ب : وجيد                     |
| (٢) ب : حد                            | (١٤) ب : المكتب                   |
| (٣) د : المثقف                        | (١٥) سقط من ب                     |
| (٤) ب : ومدحنا ؛ د : ومديحك           | (١٦) سقط من ب                     |
| (٥) ب : للوزير                        | (١٧) كذا في د ؛ وفي ب : نلکم قريش |
| (٦) حذفنا [من د فقط] الكلمات الآتية : | قريش والأنصار الصابرين ؛ ولم نشر  |
| وان تصريب ظن المنفرس فيه ؛ فعي        | على البيت في مراجعنا              |
| في غير موضعا                          | (١٨) رؤبة بن المعراج راجز بصري ؛  |
| (٧) سقطت من ب الجملة من : وان         | راجع Nallino ؛ فلم نشر على البيت  |
| تصريب الخ                             | فما نشر من شعر رؤبة               |
| (٨) سقط من د                          | (١٩) سقط من ب                     |
| (٩) ب : والمعلم                       | (٢٠) د : أتى من                   |
| (١٠) د : القابل                       | (٢١) ب : السكون                   |
| (١١) د : ولان                         | (٢٢) د : بلغ                      |
| (١٢) سقط من د                         | (٢٣) لعل هذه الجملة زائدة         |

وما عسى أن أقول فيمن قد قوي عقله بطبيعته وانتصف عزمه من شهرته  
وسان عمله وفق علمه وعلمه غامراً لحصه ؟ وقد يجرى الملك على عرق صالح  
ومنشأ سوء ، فيقدح ذلك في عرقه وإن لم يستأصله ، وقد يكون له عرق  
صالح ومنشأ صدق وتكون أدواته تامة ويكون مؤثراً لهواه ، فيكون في  
الاسم وفي ظاهر الحكم كمن فسد عرقه وخبت منشؤه<sup>(٧)</sup> ؛ وقد جمع الله  
لنا من المؤمنين مع<sup>(٨)</sup> كرم العرق<sup>(٩)</sup> وصلاح المنشأ ، البعد<sup>(١٠)</sup> من إيثار الهوى ؛ وما  
رأينا<sup>(١١)</sup> أفعالاً<sup>(١٢)</sup> أشبه بأخلاق ولا أخلاقاً أشبه بأعراق من أفعاله بأخلاقه وأخلاقه  
بأعراقه<sup>(١٣)</sup> .

فتسأل الله الذي أسعدنا<sup>(١٤)</sup> [ ب : ظهر ٤٦ ] بخلافته أن يمن علينا بطول بقاءه  
وأن يحننا بحسن نظره كما حننا بحرفة حقه والاحتياج للكه والذب عن  
سلطانه<sup>(١٥)</sup> .

\* أطال الله بقاءك وحفظك وأتم نعمته عليك وكرامته لك<sup>(١٦)</sup> .

### تمت الرسالة

(٧) ب : وضعت هنا الجملة : وما عسى  
ان أقول . . . . . لحصه  
(٨) د : اسعدنا  
(٩) ب : وضعت هنا الجملة : ودعنا  
كانت الكناية . . . . . يميز عنه القول  
(١٠) س : ب : ب

(١) س : ب : من : وقد يبلغ  
(٢) س : ب : ب  
(٣) د : المروق  
(٤) ب : والبعد  
(٥) وهل رأيت  
(٦) ب : فضلا

## ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود

للشيخ عبد الفني النابلي

عني بتره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

لقد سبق للشرق ان قدم فصلاً من كتب النابلي القية<sup>١</sup>، ذلك المؤلف المحب للبحث، الذي تطور من الصوفية الى رجل يُعلم ما وراء الطبيعة العريص كل النوص وحاول جرياً على منطق محدود جد الحدا ان يفتر الفرضيات الفلسفية واراد بواسطتها تفسير ايمانه . والآن نشر له مخطوطة اخرى . وهذه افكاره الرئيسية :

ان الله هو الكل والمخلوق ليس شيئاً ووجوده امام الله لا يكون الا العدم في الوجود وليس الا فيما يستمر في اعطائه اياه ، فذلك لا فائدة من الركون الى المخلوق المنتهي وانما المهم اعتبار مصدر الوجود وما سوى ذلك فلا اهمية له تذكر . هذه هي الانكار التي حاول المؤلف توسيعها . وكان في ذلك من المحافظين كل المحافظة<sup>٢</sup> .

والذي اهاب بنا الى نشر هذا النص هو وضوح الفكرة وقوة التعبير وهذا المنطق ، وكلها جعلت من كتيبه الذي يدور حول موضوع من اهم موضوعات الفكر الاسلامي اثرًا متنازلاً .

ولقد وقعنا في مكتبة جامعة استانبول على ثلاث نسخ لهذا الكتاب قابلنا بعضها ببعض ووضحنا في اسفل الصفحات القراءات المختلفة التي تميز الراحدة عن الاخرى . واليك اوصافها :

١ - النسخة ١ - تحمل رقم ٥١٢ ورغلافها من الجلد المصقح بخط نسخي ثلث وفي كل صفحة من صفحاتها ١٧ سطراً وفي السطر ١١ كلمة وهي بطول ٢٠ س وعرض ١٦٤٣ س ومدى المكتوب منها ١١٤٨ × ٢٠٤٨ . والمخطوطة ما برحت محفوظة

(١) راجع المشرق : ٥١٦ : ٤١

(٢) راجع القرآن السورة ٢٨ الآية ٨٨ «كل شيء مالک الا وجهه» . وقد زاد المشرق لويس ماسنيون ان الاسلام في نظرياته الدينية يميل في اثبات وجود الله الى ما يملك الكائنات لا الى ما يفوقها . راجع : Louis Massignon : *Le Pasion d'al-Hullāj*, I. p. 631, note 4.

سائلة وعليها بعض ملحوظات في الهوامش . اما ورقها فبخشن وقد وضهها المزارف سنة ١٠٩١ هـ بيد ان النسخة فلا نعلم تاريخها . ومن ميزاتنا ان فيها كثيراً من الملاحظات . والمخطوطة مرقمة الصفحات من ١ الى ٨ . ونجد في هامش الصفحة الاولى هذه الايات :

عبادتنا شق وحنك واحد وكل الى ذاك الجبال مشير  
فيوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر ودمر الهوى يوما اذا لم يكن مجير  
لان الهوى حلو وحلو الهوى مر وصاحب هبند ومالكه حرز

٢ - النسخة ب - رقم ٤١١٩ وغلافها من الورق ونصيا ضمن اطراف من الخطوط الحمراء . وقد ثالت الرطوبة قسماً من اطراف صفحاتها . اما خطها فتدني عادي ، بطول ٢٠٤٤ سم وبعرض ١٥٤٣ سم ومدى الخطوط من صفحاتها ١٤٢٣ × ١٤٤٦ . وفي كل صفحة ٢٥ سطراً ومعدل السطر ١٠ كلمات . وفي النص كلمات كتبت بالجبر الاحمر . وهذه المخطوطة مرقمة الصفحات من ١ الى ٦ .

٣ - المخطوطات - تحمل رقم ٣٧٣٠ وغلافها من الورق المغلى قفاه بالقهش . وفي الصفحة الاولى قد نسخ ما كان في النسخة التي استخدمت لنقلها . وتشتمل هذه النسخة على ٤ ورقات متلاز خطها وفي كل صفحة من صفحاتها ٣٣ سطراً وفي السطر ١٥ كلمة بطول ٢٠٤٦ سم وبعرض ١٤ سم . والمدى ١٧٢٥ × ١٤٩٠ . وقد خط على الصفحة الاولى ما يلي : « في ظهير النسخة المنقول عنها قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه . قال حضرة سيدي الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي قدس سره : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفس الوجود . انتهى من كتاب الاحدية ومن المسامرات للشيخ الاكبر :  
به على السر ولا تنفر فالبحر بالسر له مفت  
على الذي تبديه فاصبر له واكبه حتى يصل الوقت

وفي ظهريها ايضاً : ما احسن ما قاله بعض العارفين :

واذا حضرت لدى الرجال واشرفت في جزر باطنك الماني السرد  
فاحذر مناظرة الجهول فانما نتاسخ انت ويستفيد ويرد

وعنوان هذا الكتاب : كتاب ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود لمولانا العارف المحقق سيدي الشيخ عبد الغني التابلي امدنا الله بدمه امين . وعلى قفا الصفحة الاولى كتب ما يلي : « هذه رسالة وحدة الوجود المسماة بإيضاح المقصود للشيخ عبد الغني التابلي » .

### ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود

( ١٧ ) بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١)</sup> الحمد لله الموصوف بوحدة الوجود وعلى حد ما تعرفه اهل المعاينة والشهود لا على المعنى الفاسد الذي عند اهل الاتحاد والزندقة واهل الانكار والجحود<sup>(٢)</sup> . لان كل شي من جهة نفسه معدوم مفقود<sup>(٣)</sup> . وانما هو بوجود الله تعالى موجود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي فتح الله تعالى بانوار متابته كل باب مسدود لمن حافظ على الاحكام الشرعية واقام الحدود وعلى<sup>(٤)</sup> اصحابه وتابعيه<sup>(٥)</sup> وانصاره واحزابه الموفين بالعهود وسلم تسليماً<sup>(٦)</sup> . اما بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد النبي ابن اسماعيل ابن<sup>(٧)</sup> الزابلي اخذ الله تعالى بيده وامده بدمه هذه رسالة عملها<sup>(٨)</sup> في تحقيق المعنى المراد عند اهل الله المحققين الاجناد باطلاقتهم وحدة الوجود . وقولهم بانه لا شيء معه<sup>(٩)</sup> تعالى موجود . وبيان صحة هذه المقالة . ونفى ما عداه من ضلالات<sup>(١٠)</sup> اهل القواية والجهالة . والحكم على ما يخالف ذلك بالاستحالة وسميتها ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود . ومن الله تعالى استمد الاعانة . على هذه الابانة . وهو حي ونعم الوكيل . والله يقول الحق ويهدي السبيل . اعلم ان هذه المسئلة هي<sup>(١١)</sup> مسئلة وحدة الوجود قد اكثر العلماء فيها الكلام قديماً وحديثاً وردّها<sup>(١٢)</sup> قوم قاصرون غافلون محجوبون وقبائها قوم آخرون عارفون محققون ومن ردّها انما<sup>(١٣)</sup> ردّها لعدم فهمه<sup>(١٤)</sup> معناها عند القايلين بها وتوهمه منها المعنى الفاسد فلا التفات لردّه كلياً من كان لصدّه عن الحق وانما ردّه في ردّه في حقيقة الامر<sup>(١٥)</sup> واقع على ما فهمه من المعنى<sup>(١٦)</sup> الفاسد لا على هذه المسئلة فهو الذي صرّ الضلال وردّه . واما القايلون بها فانهم العلماء المحققون والفضلاء العارفون اهل الكشف والبصيرة الموصوفون بجسّن السيرة وصفاء السريرة كالشيخ

(١) ب يزيد : والله بكل شيء قدير

- |                       |                 |                   |
|-----------------------|-----------------|-------------------|
| (٢) ت : الجحود        | (٧) ا حذف ابن   | (١٢) ا رد         |
| (٣) ا حذف مفقود       | (٨) ا علمتها    | (١٣) ا فانما      |
| (٤) ا يزيد آله        | (٩) ا ت مع الله | (١٤) ا فهم        |
| (٥) ا يضع انبائه      | (١٠) ا الضلالات | (١٥) ا في الحقيقة |
| (٦) ا حذف سلم تسليماً | (١١) ا وهي      | (١٦) ا معنى       |

الأكبر محي الدين ابن العربي والشيخ شرف الدين ابن الفارض والعفيف التلصاني والشيخ عبد الحق بن سبعين<sup>(١٧)</sup> والشيخ عبد الكريم الجلي واثامهم قدس الله أسرارهم وضاعف أنوارهم فانهم قائلون بوحدة الوجود هم واتباعهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى ( 2٢ ) وليس قولهم بذلك مخالفاً<sup>(١٨)</sup> لما عليه ائمة اهل السنة والجماعة وحاشاهم من المخالفة وانما المذكر عليهم وعلى امثالهم انكر من قصور فهمه . وقلة معرفته باصطلاحهم وعدم علمه بان علومهم<sup>(١٩)</sup> مبنية على الكشف والبيان . وعلوم غيرهم<sup>(٢٠)</sup> مستمدة من الخواطر الفكرية والأذهان . وبداية طريقهم التقوى والسل الصالح . وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح . ونهاية علومهم الوصول الى شهود حضرة الحلي القيوم . ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف وجمع الخطام الذي لا يدوم . فلا طريق الا طريق السادة الائمة الهداة القادة . ولا اعتقاد الا وحدة الوجود : على المعنى الصحيح<sup>(٢١)</sup> المرافق للمشهود<sup>(٢٢)</sup> . والواجب<sup>(٢٣)</sup> على كل مكلف ان يبحث عنه ويتحقق به على الوجه<sup>(٢٤)</sup> التام . ويحتفظ<sup>(٢٥)</sup> عليه . ويترك ما غداه من اقوال علماء الكلام . لان القول الحق . والاعتقاد الصدق . والواجب ايضاً حمايته من طعن الطاعنين . وذم الجاهلين له المتكلمين فيه من غير معرفة ب الضالين المضلين واعلم انه ليس المراد بوحدة الوجود خلاف<sup>(٢٦)</sup> ما عليه ائمة الاسلام بل المراد بذلك ما اتفق عليه جميع الخاص والعام وما هو معلوم من الدين بالضرورة من غير انكار اصلاً من مؤمن ولا كافر ولا يتصور فيه انكار عند العقلاء من الانام بان<sup>(٢٧)</sup> جميع المواقف كلها على اختلاف اجناسها<sup>(٢٨)</sup> وانواعها واشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها محفوظ عليها الوجود في كل لحظة بوجود الله تعالى لا بنفسها . واذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لحظة هو<sup>(٢٩)</sup> وجود الله تعالى لا وجود آخر غير وجود

- |                            |                 |                  |
|----------------------------|-----------------|------------------|
| (١٧) حذف سبعين             | (٢١) حذف الصحيح | (٢٥) ا يحتفظ     |
| (١٨) ب مخالف               | (٢٢) ا ب للشهود | (٢٦) ا خلافاً    |
| (١٩) ا كلامهم              | (٢٣) ت فالواجب  | (٢٧) ت ان        |
| (٢٠) ت وعلومهم غير مستفادة | (٢٤) ت وجه      | (٢٨) ت باجتماعها |
|                            |                 | (٢٩) ا وهو       |

الله تعالى فالعالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الاصيل . واما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة ( به وجود )<sup>(٢٠)</sup> واحد وهو وجود الله تعالى فقط وهي لا وجود لها من جهة نفسه اصلا . وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذواتها | وصورها بل المراد ما به ذواتها |<sup>(٢١)</sup> وصورها ثابتة في اعيانها واما ذلك الا وجود الله تعالى باجماع العقلا واما ذواتها وصورها من حيث ( 2٧ ) هي في انفسها مع قطع النظر عن إيجاد الله تعالى لها بوجوده سبحانه فلا وجود لآعيانها اصلا . واما القائلون من علماء الرسوم وعلماء الكلام بان الوجود اثنان وجود قديم ووجود حادث فرادهم بالوجود الحادث . نفس اعيان الذوات والصور فقط ولهذا كان مذهب الاشعري | رحمه الله تعالى |<sup>(٢٢)</sup> بان وجود كل شيء . عين ذات ذلك الشيء لا زايد عليه كما تقرر في موضعه<sup>(٢٣)</sup> واما الموجود الذي به تلك الذوات والصور موجودة فلا شك بانه وجود الله تعالى عند جميع العقلا . بلا خلاف وكلام المحققين من اهل الله تعالى عن هذا الوجود لا عن الوجود الذي هو عين ذات الموجود فالحلاف في رد القول بوحدة الوجود وقبوله مبني على تعيين المعنى المراد بالوجود | فنفسه بعين ذات الموجود يرد القول بوحدة الوجود لاثباته وجودا حادثا هو عين ذات الموجود الحادث ومع ذلك رده للقول بوحدة الوجود<sup>(٢٤)</sup> محض خطأ<sup>(٢٥)</sup> لان هذا الوجود الحادث | الذي يزعم انه وجود ثان<sup>(٢٦)</sup> غير وجود الله تعالى قائم عنده ايضا<sup>(٢٧)</sup> بوجود الله تعالى فرجع الوجود كله الى وجود الله تعالى نفسه ايضا ومن فسر الوجود بما صار به الموجود الحادث موجودا | فانه يقبل القول بوحدة الوجود وبمقتده<sup>(٢٨)</sup> حقا وهو الصواب الذي ترجع<sup>(٢٩)</sup> اليه الاقوال<sup>(٣٠)</sup> جميعها لان وجود الله تعالى هو الذي به كل موجود موجود<sup>(٣١)</sup> باجماع العقلا فالحلاف في ذلك لفظي راجع الى تفسير

(٢٠) ا ت بوجوده تعالى فوجود الله تعالى ووجودها ( ت يزيد هنا التي ) هي موجودة به وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط وهي لا وجود لها .

(٢١) ب ويستند

(٢٢) ا حذف (٢٣) ت خطاه

(٢٣) ت حذف (٢٤) ا يرد القول بوحدة الوجود لاثباته وجودا حادثا . (٢٥) ا ت يرجع

(٢٦) ا الانفال

(٢٧) ت مواضعه (٢٨) ب ت ثاني

(٢٩) ا موجودا

(٣٠) ت حذف (٣١) ا موجودا

المراد من لفظ الوجود وكلام المحققين من اهل الله تعالى في مسئلة الوجود من اعلى عليين وكلام غيرهم فيها من اسفل سافلين<sup>(٢٦)</sup> وكون المراد بالوجود ما به كل موجود موجود في القديم والحادث اقرب الى التحقيق فانه لا غنا للموجود الممكن عن الموجود القديم اصلا فوجوده هو وجوده وذات الموجود الممكن وصورته غير الموجود القديم فهما اثنان والوجود الذي هما موجودان به وجود واحد هو للقديم<sup>(٢٧)</sup> بالذات وللحادث<sup>(٢٨)</sup> بالغير فالقديم موجود ويوجد هو عين ذاته والحادث موجود ويوجد هو عين ذات القديم وليس الحادث هو عين ذات القديم (٢٩) | ولا القديم هو عين | ذات الحادث بل كل واحد منهما مبين للآخر في ذاته وصفاته وان اجتمعا في الظهور بالوجود الواحد وتبوت العين به فان الوجود الواحد للقديم<sup>(٣٠)</sup> بذاته وللحادث<sup>(٣١)</sup> بالقديم لا بذاته فالوجود الواحد في القديم وجود مطلق على وجه لا اعظم منه وفي الحادث وجود مقيد على وجه يليق بالحادث ادنى من الوجه الاول دنوا صادرا من جهة الحوادث<sup>(٣٢)</sup> لا من جهة القديم وتقريب ذلك بروية النجم الذي في السما صغيرا عند اهل الارض مع عدم تغيره<sup>(٣٣)</sup> من الكبر الذي هو فيه فالكبر اذا ظهر بضده وهو الخمر من البعد لا يلزم ان يكون قد تغير عما هو عليه وكذلك وجود الله تعالى المطلق اذا ظهر على الحوادث المفروضة المقدرة وجودا مقيدا لا يلزم ان يكون قد تغير عما هو عليه من اطلاقه فانه وجود مطلق لا ينقسم ولا يتغير وكيف المعلوم بغير الموجود<sup>(٣٤)</sup> الحق وانما التغير والتبدل واقع في الذات الحادثة وصورها فافقه تعالى يتغيرا كيف شاء ويتقلبا من عدمها الاصيل الى وجودها الطاري الذي هو وجوده سبحانه فتتصف بوجوده<sup>(٣٥)</sup> سبحانه على حد ما يناسبها كما كانت متصفة به في الوجود الملمي من غير ان ينقسم وجوده سبحانه ولا يتغير بسبب هذا الاتصاف المذكور كما ان الما الصافي اذا فرضناه وقدرنا اننا وضمتا فيه زاجا فانه يصير اسرد اللون من غير ان يتغير هو في نفسه ولا زال عنه صفاته وكذلك اذا فرضناه وقدرنا ان فيه زنجفرا فانه يصير احمر اللون

|                 |                   |                |
|-----------------|-------------------|----------------|
| (٢٦)   السافلين | (٢٦)   القديم     | (٢٦)   انبيره  |
| (٢٧)   القديم   | (٢٧)   الحادث     | (٢٧)   الوجود  |
| (٢٨)   الحادث   | (٢٨)   ب ت الخلاف | (٢٨)   ب بوجود |

وهكذا جميع الابرار والملا لا يتغير اصلا في نفسه ولا يزول صفاء عنه وهما  
شيان ما وزاج او ما وزنجفر لا شيء واحد ولكنه ما محقق وزاج او زنجفر  
مفروض مقدورهما موجود ان يوجد واحد وهو وجود الملا فقط وليس الزاج  
المفروض المقدر او الزنجفر موجودا بوجود<sup>(٦٠)</sup> اخر غير وجود الملا بل لا وجود له اصلا  
مع وجود الملا<sup>(٦١)</sup> وانوجود للملا وحده ولكن استعمال للزاج المفروض المقدر او الزنجفر  
وجود الملا لكونه مفروضا مقدرا فيه وليس ذاك خرجا للملا عن وحدته الحقيقية  
بسبب<sup>(٦٢)</sup> ( ٣٧ ) كونه<sup>(٦٣)</sup> مفروضا مقدرا فيه<sup>(٦٤)</sup> ولا محل في الماشي ولا اتحد الملا  
مع ذلك الزاج المفروض المقدر ولا الزاج مع الملا والملا هما حقيقتان ما حقيقي موجود  
بنفسه وزاج او<sup>(٦٥)</sup> زنجفر مفروض مقدر لا وجود له بنفسه بل بوجود<sup>(٦٦)</sup> الملا  
الفارض<sup>(٦٧)</sup> المقدر له فيه واذا كان الوجود واحدا مشتركا بحسب الظاهر بين  
الموجود المحقق وهو الملا وبين المفروض المقدر وهو الزاج او الزنجفر فلا يمنع  
ان لا يكون مشتركا اصلا في حقيقة الامر كما ان اللفظ الواحد اذا كان  
مشتركا في الاستعمال بين مناه الحقيقي الموضوع له ومعناه المجازي الغير موضوع<sup>(٦٨)</sup>  
له لا يمنع ان لا يكون مشتركا اصلا في الوضع بل الوجود<sup>(٦٩)</sup> هو وجود الملا  
المحقق وحده والزاج او الزنجفر المفروض المقدر له وجود آخر مفروض مقدر  
مثله هو عين ذاته ونفس صورته مثل ما قال الاشعري رحمه الله تعالى<sup>(٧٠)</sup> |  
او<sup>(٧١)</sup> زايد على ذاته وصورته كما قال الفخر الرازي<sup>(٧٢)</sup> | تما<sup>(٧٣)</sup> هو مذكور  
في موضعه من علم الكلام في مبحث الوجود فان القايلين يوحد الوجود مرادهم  
بالوجود الوجود<sup>(٧٤)</sup> الذي به<sup>(٧٥)</sup> صار الوجود موجودا لا الوجود الذي هو مفروض  
مقدر للسكن من جنسه فافهم هذا المثال والله المثل الاعلى في السموات والارض

(٥٢) | نسبها

(٥٣) | ب ت موجود . وهنا | حذف ما بين الملاين .

(٥٤) | استظها .

(٥٥) | لكونه .

(٥٦) | يزيد هنا : عن وحدة الحقيقة بسبب كونه مفروضا مقدرا فيه

(٥٧) | ر | (٦١) | الوجود (٦٥) | كا

(٥٨) | وجود (٦٢) | ت حذفها (٦٦) | حذفها

(٥٩) | الفارض (٦٣) | ت و (٦٧) | وضعا بعد الوجود

(٦٠) | الموضوع (٦٤) | فخر الرازي

وبيان ذلك المثل بان الوجود الحق عين ذات الحق<sup>(٦٨)</sup> تعالى وهو وجود واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزى ولا ينتقل ولا يتغير ولا يتبدل اصلاً وهو مطلق من الكيفيات والكميات والاماكن والازمان والجهات ولا يتصور فيه الحلول في شي اذ ليس معه شي<sup>(٦٩)</sup> غيره ولا يتحد مع شي. اذ لا شي معه وانما جميع الاشياء به موجودة وبوجوده الذي هو عين ذاته ثابتة<sup>(٧٠)</sup> مشهودة وجميع الاشياء بالنظر الى ذواتها مفروضة مقدرة مثل الزاج او الزنجفر في مثالنا المذكور وان اتينا لها وجوداً آخر غير وجوده تعالى مثل ما يقول به علماء الرسوم وعلماء الكلام سواء. كان ذلك الوجود عين ذاتها او زايد على ذاتها فان ذلك الوجود مفروض مقدر ايضاً مثلها فينتقل الكلام الى ما به ذلك الوجود المفروض المقدر موجوداً<sup>(٧١)</sup> ايضاً وهو وجود الله تعالى بلا شك ولا ريب ويضطر الكل الى القول بوحدة الوجود على<sup>(٧٢)</sup> (4٢) ما ذكرناه فيقال لعلماء الرسوم وعلماء الكلام كيفما قلتم في وجود ما سوى الله تعالى من العوالم نقول لكم كل ذلك كائن<sup>(٧٣)</sup> (قائم) بوجود الله تعالى وهو مفروض مقدر في نفسه لانه مخلوق فهو بالنظر الى ذاته عدم صرف وانما وجوده بوجود الله تعالى فالوجود لله تعالى وحده وان وجد به ما سواه كما نقول لمن قال لنا يلزم على قولكم الجبر في افعال المكلفين ونفي الاختيار عنهم كيف تقولون انتم في افعال المكلفين فنحن نقول مثلكم ومما هم انكم تقولون ان العبد له جزء اختياري وبذلك صار له مدخل في افعاله فنقول لكم نحن كلامنا عن جملة ذلك فان الله تعالى خالق الكل والخلق الفرض والتقدير فترجع الى مسئلتنا وحدة الوجود والمفروض المقدر كيفما فرضناه وقدرناه محتاج الى الوجود ولا وجود الا وجود الله تعالى فيه موجود بوجود الله تعالى مع انه عدم صرف في نفسه وهذا الوجود المفروض المقدر للاشياء اما عين ذواتها او زايد عملها الذي تقول<sup>(٧٤)</sup> به علماء الرسوم وعلماء الكلام ويحملونه وجوداً ثانياً لوجود الله تعالى ويردون به على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين لا يضر العارفين القول به ايضاً

(٦٨) ت الله .

(٦٩) ا يزيد من (٧١) ا مفروضاً ب وجود (٧٢) ب يزيد حسب

(٧٠) ا حذفها (٧٣) ا حذفها (٧٤) ا يقول

بل هم قائلون به<sup>(٧٥)</sup> إلهام المضاهات بين العالم والمعلوم والصانع والمصنوع على  
التزييه التام ولا يمتنع عليهم انباته كما اثبتوا للعلوم والمصنوع نظير<sup>(٧٦)</sup> ما للعالم  
والصانع من الصفات والأسماء ولا يطمعن ذلك في صدق قوفهم بوحدة الوجود فان  
كلام المارنيين<sup>(٧٧)</sup> المحققين عما به كل الموجودات موجودات الذي لولاه لما كان في  
الوجود موجود أصلاً لا معقول<sup>(٧٨)</sup> ولا محسوس<sup>(٧٩)</sup> الذي جميع الموجودات في نفسها  
مع قطع النظر عن وجوده القويم عليها لا وجود لها أصلاً اذ ليس في قوة  
المخلوق ان يخلق نفسه وهو وجود الله تعالى الحق وحده لا شريك له ولا  
يتصور فيه سبحانه ان يحل فيا فرضه وقدره من جميع المخلوقات ولا بعضها  
اصلاً لان المفروض المقدر في نفسه عدم صرف وكيف الوجود<sup>(٨٠)</sup> يحل في العدم  
وكذلك لا يتصور ان يتحد معه اصلاً لان الحقيقتين متباينتان ( ٤٧ ) تبانياً  
كلياً بحيث لا مشابهة بينها اصلاً فحقيقة الحق وجود صرف مطلق حتى عن  
الاطلاق لانه قيد وحقيقة المفروض المقدر عدم صرف مقيد وانما وجود المفروض  
المقدر ان قلنا به كما قالت<sup>(٨١)</sup> به علماء الرسوم وعلماء الكلام فهو مفروض مقدر  
ايضاً فحقيقته عدم صرف ايضاً لو عقل القائلون بذلك والامر كله راجع على  
كل حال الى وجود الله تعالى عند الجميع فوجود الله تعالى هو وجود الوجود  
والوجود كله بلا وجوده تعالى عدم صرف فلا وجود الا وجوده تعالى فكلهم  
قائلون بوحدة الوجود طوعاً او كرهاً وانما قلنا بان جميع المخلوقات مفروضة مقدرة  
لان الخلق معناه الفرض والتقدير كما قال الله<sup>(٨٢)</sup> تعالى وخلق كل شيء بقدره تقديرأ  
وان كان معناه الایجاد الذي ينتج الوجود فهو الوجود المفروض المقدر فيرجع  
الى انه وجود مفروض مقدر وعلى كل حال لا مساواة<sup>(٨٣)</sup> بين وجود الله تعالى  
ووجود جميع المخلوقات الذي هو بوجوده تعالى لا بنفسه وكون وجود المخلوقات  
كلها بوجود الله تعالى ووجود الله تعالى هو الوجود الذي به وجود المخلوقات  
كلها | كما ذكرنا |<sup>(٨٤)</sup> | لا ينافي ان وجود المخلوقات كلها |<sup>(٨٥)</sup> بقدره الله

(٧٥) ١ يزيد بوجود الحق (٧٩) ١ محسوساً

(٧٦) ١ نظيراً . (٨٠) ١ حذفها (٨٣) ١ مساوات

(٧٧) ١ المارنيين (٨١) ١ قالوا (٨٦) ١ يزيد بقوة الله تعالى

(٧٨) ١ معقولاً (٨٢) ١ ب حذفها الله (٨٥) ١ يزيد بوجود الله تعالى

ووجود الله تعالى هو الوجود الذي به وجود المخلوقات كلها بقدره الله تعالى وإرادته .

تعالى وارادته وعلمه وحياته وبقية صفاته لان كلمة وحدة الوجود اختصار في الكلام عند العارفين واجمال فيه وتفصيلها ما عند علماء<sup>(٨٦)</sup> الرسوم وعلماء الكلام من بيان صفات الله تعالى ا وشرح اسمائه سبحانه فان صفاته تعالى ا<sup>(٨٧)</sup> لما كانت عندهم ليست ا عين الذات ولا غيرها ولم يقل احد من اهل السنة بمطابقتها لذاته تعالى حتى المفارقة الموجبة للترتيب اطلقت عليها وجود الله تعالى فكان القول بان وجود الله تعالى به وجود كل شيء على معنى خلق وجود كل شيء وفرضه وتقديره قولاً ثابتاً الصفات لله تعالى على حد ما يقول علماء<sup>(٨٨)</sup> الرسوم وعلماء الكلام بلا خلاف والحاصل ان جميع علماء الظاهر لا حق معهم في الطمن على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين القائلين بذلك على وجه الحق والصواب كما ذكرنا واما القائلون بوحدة الوجود من الجبهة القائلين<sup>(٨٩)</sup> (قوله) والزيادة الملحدين الزاعمين بان وجودهم المقروض المقدر هو عينه وجود الله تعالى وذواتهم المقروضة المقدرة هي عينها [ ذات الله تعالى وصفاتهم المقروضة المقدرة هي عينها ]<sup>(٩٠)</sup> صفات الله تعالى الذين يمثّلون بذلك على اسقاط الاحكام الشرعية عنهم وابطال الملة المحمدية وازالة التكليف عن نفوسهم فالطمن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى القاسد طمن صحيح وعلماء الظاهر مثابون بذلك كآل الثواب من الملك الوهاب والعارفون المحققون منهم في هذا الطمن من غير خلاف وقد اشار اليهم الشيخ عبد الكريم الجيلي قدس الله سره في كتابه شرح الحاشية في اوائله من الوصايا حيث قال يا اخي رحمك<sup>(٩١)</sup> الله قد سافرت الى اقصى البلاد وعاشرت اصناف المبادفاسات عيني ولا سمعت اذني اشر ولا اقبح ولا ابعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدعى انها من كُتْل<sup>(٩٢)</sup> الصوفية وتنسب نفسها الى الكُتْل<sup>(٩٣)</sup> وتظهر بصورتهم ومع هذا لا تومن بالله ورسوله<sup>(٩٤)</sup> ولا باليوم الآخر ولا تعتقد بالكايف الشرعية وتقرر احوال الرسل وما جاوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه متقال ذرة من الايمان فكيف من وصل الى مراتب اهل الكشف والبيان ورأينا منهم جماعة كثيرة

|                |                 |                 |
|----------------|-----------------|-----------------|
| (٨٦) ا العلماء | (٨٩) ا القائلين | (٩٢) ب كمال     |
| (٨٧) ا حذفها   | (٩٠) ا حذفها    | (٩٣) ا ب الكمال |
| (٨٨) ا العلماء | (٩١) م نفسك     | (٩٤) ا ب ورسله  |

من اكابرهم في بلاد اذربيجان وشيروان<sup>(٩٥)</sup> وجيلان وخراسان لعن الله جميعهم  
 فانه الله<sup>(٩٦)</sup> يا اخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة لقوله تعالى  
 واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وان لم يتيسر لك ذلك  
 فاجتهد<sup>(٩٧)</sup> ان لا تراهم ولا تجاورهم فكيف ان تعاشرهم<sup>(٩٨)</sup> ونحاطهم وان لم  
 تفعل فما نصحت نفسك والله الهادي انتهى . وكلامه<sup>(٩٩)</sup> هذا عن القايلين بوحدة  
 الوجود على حسب ما ذكرناه من المعنى<sup>(١٠٠)</sup> الفاسد ولكن علماء الظاهر اذا  
 ترقوا من الطعن في هؤلاء الرعاع السفلة المارقين من الدين سرور السهم من  
 الرمية الى الطعن في تلك السادة الائمة الصادقين المحققين يظنهم انهم يقولون  
 بوحدة الوجود مثل قولهم كان ذلك امرا شنيعا في الدين لا يرضى به من يرمي  
 بالله واليوم الآخر<sup>(١٠١)</sup> فان السادة الائمة العارفين من كتبهم ومصنفاتهم  
 مشحونة بآيات الوجود الحادث المفروض المقدر صريحا واسارة والحكم بانه  
 غير الوجود القديم وان كلوا قايلين بوحدة الوجود غير انهم ترة يغلب عليهم  
 جهود الوجود الحق<sup>(١٠٢)</sup> الذي به كل شيء موجود فينتقون ما عبده ويقولون  
 عما سواه انه خيال وانه سراب وانه هالك فان<sup>(١٠٣)</sup> مضحل زایل لا  
 وجود له اصلا وهم صادقون<sup>(١٠٤)</sup> في ذلك كله لان كل ما سوى الحق تعالى  
 انما وجوده مفروض مقدر بالاجماع لانه مخلوق والوجود المفروض المقدر عدم  
 صرف في نفسه وانما الوجود المحقق وجود الحق تعالى وحده الخالق اي الفارض  
 المقدر لكل شيء او الموجد بطريق الفرض والتقدير لكل شيء ولا يقال لو  
 كان كل شيء من هذه المخلوقات مفروضا مقدرا لما كان كما نشاهده محسوسا  
 ومعقولا ثابتا موجودا محققا لاننا نقول فرض الله تعالى وتقديره لوجودات الاشياء  
 في اعيانها ليس كفرضنا<sup>(١٠٥)</sup> | وتقديرنا نحن للشيء |<sup>(١٠٦)</sup> المدوم وقد جعل الله  
 تعالى ما نفرضه ونقدره انزل رتبة منا ليكون ذلك فينا مثالا لما يفرضه الله

(٩٥) ا ب شروان

(٩٦) ا فانه

(٩٧) ا وانه

(٩٨) ا ب اجهد

(٩٩) ا وهم لما صار قولهم في ذلك كله

(١٠٠) ا ب اجهد

(١٠١) ا ت يزيدان نحن

(١٠٢) ا ب اجهد

(١٠٣) ا والتقدير للشيء المدوم

(١٠٤) ا ب (دون الواو)

(١٠٥) ا متى

تعالى ويتقدّمه من وجودات الاشياء المعدومة وانما انزل منه تعالى في الوجود ولا يجوز الطعن على احد من العارفين وان جيل الجاهل قولهم فان الجبل للشرعية والدين الحق في مذهب ذلك الجاهل ليس بعذر بل الواجب عليه التعلم عنده فاذا حكمنا على الجاهل بما<sup>(١٠٦)</sup> يرى في مذهبه حكمنا بكفره حيث انكر ما هو الحق على اهل الحق<sup>(١٠٧)</sup> وان لم يعلم بمعنى ما انكره واقل شيء الاثم والمصيبة في ذلك لما قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السع والبصر والنداء كل اولئك كان عنه مسؤولا ومن الواجب على المومن ان يُحْيِل اخاه المومن على الكمال حسب<sup>(١٠٨)</sup> امكن ولا<sup>(١٠٩)</sup> سيما في حق اهل المادف والحقائيق والعلوم الالهية فانهم اوليا الله تعالى ومساعدة<sup>(١١٠)</sup> اوليا الله تعالى ماداة<sup>(١١١)</sup> الله تعالى ومساعدة<sup>(١١٢)</sup> الله تعالى كفر لا محالة كما قال الله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين والجاهل ( fir ) الذي لا يعرف علوم الاذواق وثنا علمه الذي هو غير عامل به<sup>(١١٣)</sup> مأخوذ من الكتب والاوراق لا مندوحة عن الانكار وهو تحمين الظن باهل الله تعالى والاعتراف بانهم اعلم منه بالله<sup>(١١٤)</sup> وانه جاهل بكلامهم فلا ضرورة له في الانكار عليهم مع علمه بكفر من انكر الحق اجماعا ولو اردنا ان نستدل على ثبوت وحدة الوجود بالمعنى الصحيح الذي ذكرناه لطال الكلام في ذلك بايراد الايات القرآنية والاحاديث النبوية وكلام العلماء<sup>(١١٥)</sup> السادة المحققين من اهل الظاهر والباطن ولكن قصدا الاختصار وفيما ذكرنا كفاية وقد وقفت للتأخرين من العلماء على رسائل كثيرة في بيان وحدة الوجود والاستدلال على صحة القول بها واطالة الكلام بتحقيق هذا المرام وانا ارجو ان من تحقق بما حررناه في هذه المجالة من فتوح الوقت<sup>(١١٦)</sup> ان يفهم المقصود من عبارات علماء الظاهر وعلماء الباطن في هذه المسئلة فانها اصل عظيم من اصول التحقيق في مواجيد الصالحين واشارات اهل الكمال من اصحاب اليقين فانها

(١٠٦) ا ب ج

(١٠٧) ا ب ج

(١٠٨) ا ب ج

(١٠٩) ت لا (دون الراوي)

(١١٠) ا سادات

(١١١) ا سادات

(١١٢) ا ب زاد ايضا

(١١٣) ا يزيد تعالى

(١١٤) ا يضمها بعد السادة

(١١٥) ت الوقت

هي التوحيد الشرعي الذي بُنيت عليه جميع اعمال المخلصين وما عدا ذلك فالشرك الخفي الذي هو مبنى اعمال الناقلين ولهذا نقل العارف المحقق الشيخ احمد القشاشي<sup>(١١٦)</sup> المدني رحمه الله تعالى في رسالته في وحدة الوجود عن ابن كمال باشا رحمه الله تعالى ومن خطه نقل<sup>(١١٧)</sup> كما صرح بذلك انه يجب على ولي الامر ان يحمل الناس على القول بوحدة الوجود انتهى . وتقريره<sup>(١١٨)</sup> ان يحمل الناس على القول بالتوحيد الحالي من الشرك الخفي الذي اشار اليه الشيخ العارف ارسلان رضى الله<sup>(١١٩)</sup> عنه في اول رسالته بقوله كلك شرك خفي ولا يبين لك توحيدك الا اذا خرجت عنك وقد استوفينا الكلام على الشرك الخفي في شرحنا على رسالة الشيخ ارسلان بحسب الامكان والله<sup>(١٢٠)</sup> المستعان وحلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين مع التسابيح والتأهيات<sup>(١٢١)</sup> باحسان الى يوم الدين تمت<sup>(١٢٢)</sup> قال | المزلق اطال الله بقاءه |<sup>(١٢٣)</sup> كان تصنيفنا<sup>(١٢٤)</sup> لهذه الرسالة المباركة ان شاء الله تعالى في<sup>(١٢٥)</sup> ( ١٧ ) مجلسين قليلين من ليلة الجمعة ويوم الجمعة الثاني عشر من شعبان سنة احدى وتسعين والف بالخير والحمد لله وحده<sup>(١٢٦)</sup> | على كل حال مدا الايام والاليل<sup>(١٢٧)</sup> هـ<sup>(١٢٨)</sup>

- (١١٦) ا ب القشاشي  
(١١٨) ا ب تقديره  
(١٢٠) ا ت باق . ا يزيد تعالى  
(١٢٢) ا ب حذفها  
(١٢٣) ت يضع : قال مصنفوا رضى الله تعالى عنه و ا يزيد وارضاه  
(١٢٤) ت تصنيفها  
(١٢٥) ا حذفها  
(١٢٦) ب حذفها  
(١٢٧) ا حذفها

(١٢٨) هنا ا يزيد : اللهم اغفر لكانبها ولوالديه ولن كتيب له ولجميع امته محمد صلى الله عليه وسلم برحمتك يا ارحم الراحمين . - ويزيد :  
انهم رموزي ولا تنف رموزي حق بادي في السر والاعلان . وبعد ذلك : المراد بالانتماء في لسان النور فناء مراد البعد في مراد الحق فلا يصير للبعد مراد مع الحق ابداً الا بحكم التبيين .  
ويزيد ت في آخر الرسالة : صلى الله على من لا نبي بعده . تمت صح ص ١٦ في سنة ١١٩٢ . وقد كان كتيب قبلا : تمت برون الله تعالى في ١٧ ص سنة ١١٩٢

وماكم القصيدة التي زادها ١ في الصفحة الثامنة :

بالاغني لو بذلتُ الروح مجتهدا      وُجْهَ المال والدنيا وما فيها  
وجنتُ الملدِّ والفردوس واجمعها      بساعة الوصل كان القلب يذرجها  
لا تالكنَّ طريقاً است نرفها      بلا دليل فتوى في مهاوجها  
ظننت ان الهوى سهل طريقته      او المحبة اسماء نفسيها  
الروح اول موجود تجردُ جا      والنفس ابرشي فيه نفسيها  
وما عليك اذا ماتتْ يَصْنَعُها      من الزمام فان الوصل يُبَيِّها

للشيخ المقرئ قدس الله سره :

لقد كتنا حروف عالجات      ترلنا في سطور سافلات  
ظهِرنا بعد ما كتنا خفياً      وصرنا الآن كل الكائنات  
وما الاكوان الا نحن حقاً      فاننا كائنات ممكنات  
اذا صرنا الدوالم والمراتب      وذا ثم اسماء الصفات  
نحجبنا بنا عنا لدينا      وقضاب بعده في المشكلات  
نسبنا عهد ايام الوصال      ولم نذكر عهد الساعات  
رسول جاء منا بعد ذلك      علينا مني بالامجرات  
وغا      لنا ما الينا سمننا فلتجينا للنجات  
رجعنا ككتنا لنا الينا      وصرنا وادقينا عن جهات  
عبرنا عن نفوس زاكيات      وعن رتب الذوات القابلات  
وصلنا وانصلنا واتحدنا      بذات العين صرنا عين ذات  
وفي التفصيل لم يوجد موافا      ولم يوجد كذا في المجملات  
وجدنا المقرئ شمساً وبيدرا      واجرام النجوم الثابتات - غت -



## الرسالة المشفية للأمراض المشككة

في المراقبا

رسالة طيبة خطية

تأليف

أحد الداء المتبحرين وأجند الفضلاء المدققين  
أوحد زمانه وجانيوس عصره وأوانه

الحكيم فيضي مصطفى افندي

عني بنشرها

الاب انطونيوس شلي اللبناني

نُصْدِر

يُخْفَى عن الأذهان ، أَنَّ الإنسان وَلِمَّ بِالْحَيَاةِ ، حَرِيصٌ عَلَى  
التَّذَرُّعِ بِالنَّوَائِطِ وَالرَّوَاسِلِ الَّتِي تَضُنُّ لَهُ الْعَمْرَ الْمَدِيدَ ، فَتَرَاهُ  
يَقْطَعُ إِلَى الْعِلَلِ وَالْعَوَامِلِ الْمُهْدِمَةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا السُّطُو عَلَى الْعَافِيَةِ  
خَشِيَةَ انْتِرَاعِهَا مِنْهُ وَسَوْفَهَا إِلَيْهِ جِيوشِ الْأَمْرَاضِ الْفَتَاكَةِ ، فَيَعُدُّ الْمُدَّةَ لِمُقَاتَلَتِهَا  
وَعِجَازَتِهَا ، اتِّقَاءً لِاخْتِلَاطِهَا وَاهْوَالِهَا ، وَيَهْرِعُ إِلَى الطَّيِّبِ يَتَصَرَّخُهُ لِإِعَانَتِهِ  
وَمُسَاعَدَتِهِ بِمُجَرَّدِهِ وَادْوِيَّتِهِ فِي دَفْعِ أَضْرَارِهَا ، لَنَلَا يَسْتَفْجِلُ أَمْرَهَا وَيَسْتَطِيعُ  
شَرَّهَا وَتَبَاقُغَتَهُ بِوَبَقَاتِهَا عَلَى حِينِ غُرَّةٍ وَتَصْرَعُهُ شَرَّ صَرَعَةٍ ، لِذَلِكَ يَسْتَأْمِنُهُ  
مُسْتَلَمًا إِلَيْهِ ، وَمُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ ، بِإِذْلالِهِ مَا وَسَعَهُ مِنْ جَنَى يَدَيْهِ ، وَهُوَ مُجِبِّبٌ  
نَفْسَهُ أَنَّهُ أَصْبَحَ بِمُنْجَاةٍ مِنْهَا لَتَحْصُنَهُ فِي أَمْنٍ الْمَقَاتِلِ ، فَلَا تَصِيبُ مِنْهُ سَهَامُ  
الْآفَاتِ الْمَقَاتِلِ .

وَحُبُّ الْبَقَا. تَوْعَةُ أَوْ غَرِيزَةُ فِي الْمَرَّةِ يَقْرَعُ فِي الْحِفَاطِ عَلَيْهِ كَنَانَةُ جِهْدِهِ .

ولو استطاع الاستئثار بالحياة لبذل كل غالٍ ورخيص في هذا السبيل وأضحى  
بأن من عوادي الزمن وطواري المحن ، ما خلا فئة من المزهدين والمتنكبين  
قد كلفت بجمال الخالق ، فصدفت عن جمال الحياة ومحاسنها ، وازدورت جسام  
الامراض والآفات ، ورغبت في الانعتاق من سجنها ، توصلًا الى نيل بقية قلبها .

ومهما قطع المرء من اشواط العمر ، لا يزال عالق القلب بأسباب الحياة  
شفقًا بحبها ، متمسكًا بأذيال الطيب ، لئلا تقطع عليه المنون لذة الاستمتاع  
ببهاجها ومفاتها التي لا تشبع نهمه ، وهي سنة الله في خلقه من قبل ومن بعد .

ومن البديهي ان الامراض والآفات تتأثر خطى المرء من المهد الى اللحد ،  
وكثيرًا ما تروعه بدلائلها واعراضها التي هي مقدمة لنتيجة مفاجئتها له بحيلها  
ورجائها ، فتشتد عليه الكرب وتساوره القصر ويقيه الذعر ويقعده ، وليس  
له من رجا . بالتغلب عليها الأيوانة الطيب ، لذلك راح الموسرون ينشدون  
ويفتشون عن مهرة الاطباء . لئلا يكفهم لوقايتهم من ضربات هذا المدو المردية .

وللامراض في كل حين وحال ، قصفٌ وغزيفٌ ، ورعدٌ ودويٌ ، وللاطباء  
في كل زمن ، كرمٌ وفرٌ ، واقدامٌ واحجامٌ ، وفشلٌ واملٌ ، وانتصارٌ وانكسارٌ ،  
لا ينجحون للآفات ، ولا يستكينون للملأت ، ولا يعلون من البحث والاستقراء .  
احرازًا للثغر عليها . ومن الاطباء . من تأقت شهرتهم وتحديث الناس بجهتهم  
فزحفت اليهم مئات المرضى من جميع الاصقاع ، على اختلاف النحل والمذاهب  
يستعيذون بهم حالما تتألم الآلام وتنزل بساحتهم الاسقام .

وقد يبرع واحد في فنٍّ من فنون الطب يقصر عنه فيه الآخر ، ويكون  
هذا البارع مختصًا منفردًا بمداواة هذا المرض دون سواه ، لا كبايه على دراسته  
وطول تمرنه على طرق معالجته ، ويتردد ذكر براعته ومهارته على السن الذين  
الذين نالوا الشفاء بطبه ، فتطير شهرته ويتألب حوله اصحاب الآفات والامراض  
يرقبون البسة على وجهه وكلمة الطمأنينة من فمه .

•

ومن الملل التي تفشت وانتشرت انتشارًا واسعًا ، علّة « المراقيا » وكان  
من فرانسها عدد ليس بقليل ، وقد حار بأمرها الاطباء ووقفوا بإزاء معضلاتها

مكتوفي الايدي ، ثم اهاب بأحد اطباء القرن التاسع عشر في القسطنطينية ،  
الحكيم البار ، اللوذعي اللامع ، « احد العلماء المتبحرين ، واجيد الفضلاء .  
المدققين ، اوجد زمانه ، وجالينوس عصره واوانه »<sup>(١)</sup> ، الحكيم فيخني مصطفى  
افندي ، الى التمتع في درس هذه العلة واختبار العلاجات الناجمة فيها ، وما  
يتطلبه سقيها من ترقية وتغذية ، مما حمله على ان يضع رسالة في علة المراقيا  
كافية شافية . وجامعة مائة . وقد فحص ومحص اراء اطباء الشرق والغرب في  
مداراة هذه العلة ، فكشف الرغوة عن الصريح ، وحل عتدها وفك شكالاتها  
وبسط اسبابها واعراضها مبيّناً العلاجات الملائمة لها . وهو نفسه قد ابتلي بها ،  
على ما ذكره في مطاوي رسالته هذه ، فأتت مطلوماته فيها مبنية على اس الحقيقة  
والاختبار ، وما يُبنيك مثل خير . وقد ستي رسالته : « الرسالة المشفية  
للأمراض المشككة » . وفي هذا العنوان دليل واضح على ان المراقيا من الملل  
المتعصية الشفاء ، الجديرة بالتبصر والتفكير والاهتمام والاستقصاء .

وقد رجع اليوم اطباء الفرنج الى التنقيش عن كتب الطب العربية الخطية  
وابتاعها والمكوف على درسها والتنقيب فيها ، واللجوء اليها في مشاكل  
الامراض وصانها . ورب وصفة بسيطة في هذه الكتب ، أتت بفائدة عظيمة  
كما صدق بالامتحان ، وفيه يكرم المرء أو يهان .



قد رأينا نسخة من « الرسالة المشفية للأمراض المشككة » عند حضرة  
الرجيه الاديب فيليب الحوري بطرس يزوك ( حدث ، بيروت ) نقلها عن  
كتاب طبي خطي منسوخ في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٥٠ هجرية ( سنة  
١٨٣٤ ميلادية ) غير مثبت فيه اسم كاتبه ولا اسم مؤلف هذه الرسالة .  
طالعناها فوجدناها مختصرة جداً .

وقيض الله لنا المورد عليها كاملة ، في كتاب طبي خطي . يسمى « كتاب  
الاقتضاب »<sup>(٢)</sup> عند حضرة صديقنا الفاضل العالم ، الحوري ميخائيل عقل البكي

(١) كذا فته اترابه وعلاء عصره

(٢) منه نسختان خطيتان ، في مكتبة دير الشبر (الأمرة) ، للرميان الحليين الملكيين ،  
في مكين - موق الغرب

في حدّ الطب واجزائه . في الامور العيبيّة . في الادكان . في المزاج واصنافه . في الاخلاط وعددها . في صفّة الدم وطبيعته . في طبع البلمم واصنافه . في طبع المرأة الصغرى واصنافها . في قوة المرأة السوداء واصنافها . في الاعضاء واقسامها . في اصناف الاعضاء نظراً الى قواها . في الاعضاء الرئبة . في الاعضاء المرؤوسة بخدمته . في الاعضاء المرؤوسة بلا خدمة . في الاعضاء التي لا رتبة ولا مرؤوسة . في اصناف الاعضاء نظراً الى جواهرها . في الاعضاء المفردة . في الاعضاء المركّبة . في جملة عظام البدن . في المضاريب . في الاعصاب وعدتها ومنبتها . في الرباطات . في الاوتلر . في الاغشية . في فمل المضل وعددها . في الاوردة . في الشرايين ومنبتها . في صفّة الدماغ . في صفّة اللعين واجزائها . في صفّة الاذن . في صفّة الانف . في اللحم واللسان . في ما يمتنع بالخلق . في قصبة الرئة والخنجرة . في الاعضاء المحدودة من الخلق . في الصدر والرئة . في القلب . في آلة الغذاء . في المري والمعدة . في الامعاء . في الكبد . في المرارة . في الطحال . في الكليتين . في

المثانة . في آلات التنازل . في الاثني عشر . في النضيب . في الرحم . في الثدي . في اجناس  
 القوى الطبيعية . في القوى الحيوانية . في القوى النفسانية . في الاصناف . في الروح  
 وامثالها . في احوال البدن وكل واحد منها . في اجناس الامراض . في امراض سوء  
 المزاج المتشعبة الاجزاء . في اجناس امراض التركيب . في امراض الخلقة . في امراض  
 المقدار . في امراض الفسد . في امراض الوضع . في امراض الاتصال . في اوقات الامراض  
 والوقوف عليها . في اجناس الاسباب . في احساس النظر . في منفذ الهواء . في فصول  
 السنة . في تغير الهواء بسبب الكواكب . . . الخ

وفي آخر كتاب الانتصاب هذا ، تغير اسماء بعض ادوية واعشاب ،  
 بالعربية كثيراً ما يرد ذكرها في كتب الطب الحظية ، ثم تأتي « الرسالة  
 المشفية للامراض المشككة في المراقيا » وهي في ٣٤ صفحة .

ولما تصفحتها رأيناها ذات فوائد جزيلة ومنافع عمية ، لم يسبق مؤلفها  
 احد من اطباء العرب والمسلمين الى الاستقصاء والاستقراء والتدقيق في حصر  
 النقاب عن هذه العلة يمثل هذا التوسع والتبسط ، فبرزت رسالة فريدة في بابها ،  
 جديرة باعتبار طلابها ، احببنا ان نرفها الى قراء مجلة « المشرق » الانغرا ،  
 آمليين ان ييمن النظر في مضامينها اطباؤنا الالباء ، لانها تلقي نوراً ساطعاً على  
 آفاق رحبة ، في اسباب علة المراقيا وكيفية تدبير مداواتها . وليس لنا من  
 غرض من وراء نشرها سوى مجد الله الاعظم وتقريب فوائدها من الافهام والسلام .

جبيل - لبنان - دبر سيدة المورنات

في ٢٧ شباط سنة ١٩٥٢

الاب انطونيوس شبلي

اللبناني

## بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

أما بعد فيقول أحد العلماء المتبحرين وأعبد الفضلاء المدققين (أوحد) زمانه وجالينوس عصره وأوانه ، فيضي مصطفى افندي ، ان الباعث لتأليف هذه الرسالة الصحيحة النصاب ، والنسخة الحكيمة الانتساب ، هو ان علة المراقيا غير السوداوية والمراقيا السوداوية قد كثرت وقوعها في الناس الصغار والكبار . وغالب الناس ابتلت بها وقد غفلت أطباء العرب والعجم الفرق والتمييز ما بين هذين المرضين في كتبها ، اي المراقيا غير السوداوية والمراقيا السوداوية ولم يذكرها اسبابها وعلاماتها واعراضها وعلاجاتها كما ينبغي . ولكونها ذكرت ما ذكروه في باب هذه العلة متفرقا فيعسر الوقوف عليه من مؤلفاتهم في حين الاحتياج اليه . فباشرت انا الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، تأليف هذه الرسالة بعد الوقوف على ما وجدته من تأليفات المتقدمين ورسائلهم ونسخ تأليفات أطباء اللاتينيين اقتضالا . الذين كتبوا في هذا الفن ، بعد ما سبق لي من المطالعة والمذاكرة مع فضلائهم ومباشرتنا علاج هذين المرضين المذكورين بالتجربات الصحيحة والتدابير الصائبة وبحسب القدرة والامكان جمعت هذه الرسالة وألفتها وسيتها « الرسالة المشفية للأمراض المشككة » ورتبتها على تسعة فصول :

الفصل الاول : في بيان تسمية هذه العلة بالمراقيا وكيفية حدوث مادتها

الفصل الثاني : في بيان الاسباب التي تنولد منها علة المراقيا

الفصل الثالث : في بيان علامات الاعضاء المألوفة في علة المراقيا

الفصل الرابع : في بيان اسباب علة المراقيا

الفصل الخامس : في بيان علامات علة المراقيا

الفصل السادس : في بيان تقدم المرفة في علة المراقيا

الفصل السابع : في بيان تمييز مرض المراقيا اجمالا

الفصل الثامن : في بيان علاج المراقيا السوداوية على وجه التفصيل

الفصل التاسع : في بيان تسكين امراض المراقيا

## الفصل الاول

في بيان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا

وهو انه في بطن الانسان اللحوم القلبية تحت الحجاب الذي يقال له مراق من الاعضاء الباطنة حيث يعتريا سو المزاج الحاذقأوف ، ولأجل ذلك سترها مراقيا تسمية للعال باسم المحل . والاعضاء الكائنة تحت الحجاب هي اربعة :  
الاول : عروق الماساريقا .

الثاني : الكبد .

الثالث : الطحال .

الرابع : اللحوم القلبية التي هي في عروق الماساريقا .

لأن في هذه الاعضاء يوجد ريع كثير ، فلأجل ذلك يسترها : العلة الريحية ايضاً . إلا ان الحكماء المتقدمين من علماء العرب واطباء اليونان لم يفرقوا بين علة المراقيا السوداوية من غير السوداوية ، انما يقولون العلة المراقيا ، مراقيا سوداوية . غير ان حكماء اللاتينيين المتأخرين فرقوا بينهما وميروهما والذين ابتلوا بعة المراقيا يكون اكثرهم لم يُبَيِّنْ فيهم علائم السودا ، انتبوا ذلك من هذا الوجه ، انما قالوا : بان علة المراقيا السوداوية قريبة للمراقيا .

الحاصل : ان اطباء اللاتينيين المتأخرين إدَّعوا بان علة المراقيا في مرور الايام تبدل بالمراقيا السوداوية وانتبوا ذلك من ثلاثة وجوه :

الاول : ان الاخلاط المجتمعة في الاعضاء الباطنة تحترق من افراط حرارة الكبد فتتجهل الى السودا .

الثاني : انه يعرض للطحال ضعف فلا يمكن جذب عكر الدم عن العروق والكبد وتيميزه عنهما فيبقى ذلك العكر في الاعضاء الباطنة فيحترق فتتجهل السودا .

الثالث : ان القوة الدافعة التي في الطحال تضعف فاذا جُذبت فلا تقدر على الدفع فيجتسع العكر فيصير ذلك سبباً لحصول السودا . فقالوا على هذا المنوال المشروح : ان علة المراقيا تنتقل الى علة المراقيا السوداوية . وعلائم السودا تظهر واضحة بالتدريج .

## الفصل الثاني

في بيان الاسباب التي تتولد منها علة المراقبا

اعلم ان بدن الانسان اذا كان دائماً في التحلل فمن لازمه ان يعتدي ليخلف بدلاً عما يتحلل . فاذا كان الامر اذاً على هذه الكيفية لم يوجد غذا . ما لم يكن له فصلة ، لكن الاغذية اذا ما ناسبتها بعضها ببعض فتجد ان بعضها فصلة كثيرة وبعضها قليلة ، فمن ثم ما قد تهضمه الطبيعة فتقبل منه ما كان صالحاً للغذاء ، وما كان فصلة ترده وتدفعه الى الخارج . مثلاً : ان الهضم الاول يكون في المعدة فالذي يكون صالحاً من الاطعمة للغذاء . يكون كيلوسه " جزئياً " ، والذي لم يكن صالحاً فيصير فصلة ويسري الى الامعاء ، ولكن كيوسه ينفصل عن الفضلات وبعد تنظيفه فان الطبيعة توصل ذلك الكيوس في عروق الماساريقا الى الكبد أولاً حيث يكون في عروق الماساريقا فيقع فيه الهضم قليلاً ، اذ ان الكيلوس عندما ينفذ الى الكبد يستعد لان يصير دماً . والكيلوس عندما يكون في عروق الماساريقا فالطحال يجذب اليه من ذلك الكيلوس ما كان غليظاً فيطبخه فيحصل منه دم غليظ . وذلك الدم الغليظ يصير غذا . للاعضاء الكائنة في جوار الطحال . ولكن هذا الدم الغليظ ما كان من الفضلات الغليظة جداً تهضمه الطبيعة وتدفعه في الطرق المناسبة لدفعه . اما الكيلوس الرقيق الذي يبقى في عروق الماساريقا فيجذبه الكبد اليه ويطبخه وفيه يحصل الدم وسائر الاخلات التي تصلح للاعضاء . والطبيعة منه تقسم غذا . جميع الاعضاء ، وفي هذا الطبخ الفضلات الحاصلة في الكبد بعضها يذهب الى المرارة وبعضها الى الكلى .

وحاصل الكلام ما ذكرناه حسب قول المتأخرين ، لان المتقدمين قالوا : ان الهضم الاول في المعدة والهضم الثاني في الكبد . وذهبوا الى ان الطحال يجذب اليه الدم الغليظ من الكبد ، ولكن المتأخرين بعد اثباتهم الهضم القليل من عروق الماساريقا ، ذهبوا الى ان الطحال يجذب

(١) الكيلوس : هو لخط ، أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد قبل المدة فيه .  
مرتب خيموس باليونانية .

الكيلاوس القليظ . غير ان المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على ان الطحال كان لاجل تنظيف غاظ الدم وعكركه ، ولجل ارسال الغذاء الى الاعضاء التي من شأنها ان تتغذى بثل هذا الدم السوداوي الذي يجذبه من الكبد . انما على ما ذكرناه ان كانت الاعضاء الباطنة هضما على ما ينبغي وكل منها يدفع فضله كما ينبغي ، يكون حينئذ البدن على صحته . واما ان كانت لا تقدر على دفع هذه الفضلة لضعف القوة الهاضمة او الدافعة فيصير سبباً لأمراض مختلفة . قال قيريلوس الحكيم في المقالة السابعة من كتابه الذي « في الملل والامراض » هكذا : ان كان قصور في القوة الهاضمة وضعف في الدافعة ، فان الطبيعة لا تقدر على دفع الفضلات كما ينبغي . ومن ذلك يتولد ثمانية امراض : الاول الهیضة . الثاني المايلخوليا . الثالث علل المراقيا . الرابع المراقيا السرداوية . الخامس الاسهال . السادس اسهال الدم . السابع سوء القنية . الثامن الذبول . فان كانت الفضلات المحتجزة في الاعضاء الباطنة متعفنة فتكون سبباً لحصول الحيات النابية . انتهى .

اما سبرطوس فقال هكذا : ان من اجتماع هذه الفضلات في الاعضاء تحصل الامراض المذكورة آنفاً ، ولكن احياناً اذا غلبت الطبيعة فيعرض القي والاسهال للليل فيحصل الخلاص كما شاهدناه دفعات متعددة .

وجالينوس الحكيم ، قال في المقالة السابعة من كتابه المعروف « بالاعضاء الالمة » هكذا : ان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا هو من هذا الوجه حيث اوضح بان الاعضاء الباطنة اذا اعتراها سوء المزاج الحار بسبب حرارتها احياناً يكون الطعام قليل المضم فيجذبه الكبد من المعدة اليه ، ولكون الكبد مقرط الحرارة فيحصل من ذلك الغذاء دم غليظ ومعتق ، وبسبب غلظ هذا الدم واحتراقه تحصل السدة في الكبد والمجاري . فاذا كان الامر هكذا ، اي لان السدة تضيق المجاري فالكيلاوس لا يعود ينفذ من المعدة ، ويبقى زماناً فيها فيفسد ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . وحياناً لطول مكث الكيلاوس الفاسد في المعدة ، والمعدة حينئذ ضعيفة ، يئس فيها ريحاً كثيرة فيعرض وجع المعدة . فان كانت الطبيعة قلباً فيندفع الوجع بالقي وبالبلى .

وقال جالينوس ايضاً : ان فم المعدة الاسفل متصل في الامعاء وهو في

ذلك الحين يلتهب فلا يسري الغذاء . من ذلك الطرف الى الماساريقا كما ينبغي فيبقى في المعدة . ولزيادة مكثه فيها ينفسد ولكون المعدة تضف ايضاً فيحصل ريح ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . انتهى .

نتيجة الكلام : ان الاعضاء التي تجتمع فيها الاخلاط الفاسدة في هذه العلة هي ثمانية : الاول نفس المعدة . الثاني فم المعدة الاسفل . الثالث نفس الكبد . الرابع البواب وهي العروق الكبيرة التي في الكبد . الخامس الأعضاء القريبة من الكبد . السادس نفس الطحال وعروقه . السابع عروق الماساريقا . الثامن اللحوم القددية التي هي في عروق الماساريقا . وعلى التحقيق ان خلقة اللحوم القددية هي مثل الاسفنج فانها تشرب الاخلاط الفاسدة ويكبر حجمها . فعلى هذه الحالة تسد مجاري الماساريقا بالضغط وتورث السدة وتعير سبباً لظهور المرض المذكور . فان كانت الاخلاط الفاسدة تجتمع في اللحوم القددية لا يحس بها في اللس واذا لم يحس بها في اللس لا يقتضي من ذلك انها لم تكن علة المراقيا .

=

إعلم ان الاخلاط الفاسدة المجتمعة في هذه الأعضاء قد تصعد منها أنجرة رديئة تدر الى المعدة ، وتدر الى القلب ، وتادر اليها ممأ ، وتادر الى الدماغ . فان كانت تصعد الى المعدة فتسد ويحصل منها جشاً وتورث اللدغ والوجع . ولكون المعدة لها مشاركة مع الدماغ ايضاً وبصعودها الى القلب ، يعرض للقلب وجع وانتباض . وان كانت تصعد الى الشريان الكبير الذي في القلب فتورث الحفقان وعسر النفس ووجع الصدر . وان كان يعرض للمريض عرق بارد فتسكن الأعراض الشديدة قليلاً ويستريح نوعاً ما ، لأن الأنجرة الصاعدة الى القلب تحلل بالفرق .

### فصل الثالث

في بيان علامات الاعضاء المأوفة أي المألومة في علة المراقيا

ان كانت الآفة في نفس الطحال فتظهر في الطحال صلابة ونفخة ، وسحنة المريض تكون الى الكسودة . واذا كانت في الكبد فتظهر العلامات المذكورة

في موضع الذي فيه الكبد . وأما اذا كانت في المعدة والطحال معاً فيعرض تحت المعدة نفخ وتمدد ووجع بعد تناول الطعام في ست او سبع ساعات تقضي . وأما ان كانت في الكبد والطحال فلا يحس بشي . أصلاً . وان كانت الآفة في نفس المعدة في وقت الحضم يعلم ذلك من الاعراض الظاهرة . وأما ان كانت في الرحم من احتباس الطمث وقتله وعسره ، وان قبل مجي . النوبة يوم او يومين ، فيحصل وجع الظهر والاربية وقراقر في الجوف ونحو ذلك . وأما ان كانت في اختلاط سو . مزاج المعدة والكبد ، اكون في الكبد سو . مزاج حار ، فتصعد أنجرة حارة من الكبد فتعبر منها وجتا الطيل احياناً وتحمر منها كفاه وأسفل قدميه أيضاً وبوله يكون أحمر ، ويكون المريض مانلاً الى شرب الماء .

وان كانت العلة حاصلة من برودة المعدة فيعلم ذلك من ضعف هاضمة المعدة ومن الجشع الحامض الحاصل من البائهم الذي في المعدة .

#### الفصل الرابع

في بيان أسباب علة المراقيا وهي سبعة

السبب الأول : من حيث ان في الكبد سو . مزاج حار فهو يجذب اليه الطعام من المعدة قبل الحضم وتنجذب اليه الحرارة الفريزية من المعدة ايضاً فتضعف القوة الهاضمة التي فيها فتصير سيئاً لتولد بلغم غليظ لزج وريج . وذلك البائهم الغليظ الحاصل في المعدة ، عندما ينفذ البش منه الى الكيلوس في عروق الماساريقا يسد المجاري بسبب لزوجه وغلظه . وفي نفوذه من عروق الماساريقا الى الكبد ، اكون الكيلوس لزجاً وغليظاً ، تضيق مجاري الكبد ايضاً . وعندما تضيق المجاري يقل ترويج الكبد فيصير سيئاً لزيادة سو . المزاج البارد ويستدل على ذلك من النذا .

السبب الثاني: يعرض من تناول الأطعمة المضرة خصوصاً الأغذية الباردة الحضم والمولدة للبائهم الغليظ والصفراء ، والسوداء ، مثل البقول المضرة كالبادنجان واللحنة . ومن الحبوب المقدس . ومن اللحوم البقر والماعز والارنب والأيمل . ومن الطيور لحم طيور الماء . على الاطلاق . والتقيد مثل السجق والبصطرمة

والبيض المقلبي الشديد الاستواء . والاطعمة المصنوعة من العجين خصوصاً اذا كانت بالحرارة ، لكونها من العجين تولد بلغمًا غليظاً ، وبسبب حلاوتها تولد الصفراء .

والحاصل ان جميع الاطعمة السكرية والعَلِيَّة مضرَّة لعلَّة المراقيا .

السبب الثالث : الانفعالات النفسانية خصوصاً المقاربة مثل الهم والتم والحزن والرعب والغضب ، لأن هذه الحالات مع كونها تحلل الارواح فتُضَمَف الحرارة الفريزية والقوة الهاضمة .

السبب الرابع : ترك الحركة ، فان الذي يُكثر من الدعة ( الراحة ) ولا يمارس الحركة تجتمع في بَدَنه رطوبات فضيَّة واخلط .

السبب الخامس : الحركات العنيفة ، فان كانت الحركة معتدلة فانها تحلل الفضول . وان كانت مفرطة بعدما تحلل الفضول فانها تقضي الاخلط والرطوبات الاصلية التي تصلح للنفذ . فيجعل من ذلك سوء مزاج حار في الكبد وسائر الاعضاء . وان كانت بافراط فانها تُقضي الرطوبة الاصلية وتُصير شيئاً لاطفاً . الحرارة الفريزية .

السبب السادس : احتباس الاخلط اللازم استفراغها مثلاً : من كان معتاداً ان يخرج منه دم البواسير فاذا حبس دمه فيصير شيئاً لتجمع الاخلط الفاسدة والسوداوية ، لأن الدم الذي يخرج من عروق البواسير فانه دم محترق فاسد ، ولكونه لم يصلح للنفذ . فان الطبيعة تدفعه خارجاً لاجل تنقية الاعضاء الباطنة حتى ان الحكماء قالوا : من كان معتاداً ان يخرج منه دم البواسير فانه يأمن ظهور عشرة انواع من الامراض : ١ الجنون ، ٢ السوداء ، ٣ الجرب ، ٤ البانم ، ٥ الصرع ، ٦ ذات الجنب ، ٧ ذات الرئة ، ٨ السل ، ٩ الجذام ، ١٠ السرطان .

السبب السابع : احتباس الحيض في النساء ، لأن احتباس هذا الدم يوجب تجمع الاخلط الفاسدة ايضاً . وما ذكرناه من الاسباب المشروحة كل منها يصير شيئاً للظهور علَّة المراقيا . وفي مريض واحد لا يلزم ان توجد فيه كلها مجتمعة كما ستوضحه ان شاء الله تعالى .

## \* الفصل الخامس \*

في بيان علامات علة المرافيا وهي واحد وعشرون علامة

العلامة الاولى : إعلم ان المعدة تأوف من سوء المزاج البارد فتضعف القوة الهاضمة فينشأ من ذلك اخلاط بنغمية وريح وجشأ . فان كان سوء المزاج البارد مفرطاً تكون حامضة . وان كانت البرودة قليلة في المعدة فيمرض جشأ دخاني ورجع المعدة احياناً ، والمريض لا يستريح ما لم يتقيأ ، ويعرض له بصاق كثير احياناً . فالذين يبتلون بهذا المرض اكثرهم اذا تكون معدتهم مأوفة مألومة ، وتعرض لهم اعراض رديئة متنوعة . فمن كان غير مُمَرَّن في فن الطب وقليل الدراية في تمييز الاسباب والعلامات من الاطباء الجلهة يظن انه مرض معدى فيخطئ في التشخيص والتدبير ويصير تدبيره سبباً لاشتداد المرض . إعلم ان سبب آفة المعدة في هذا المرض هو ان المعدة تجتذب غذاءها من الدم الذي في شُعب العروق الذي يقال له « البواب » لتغذي به . وهذا الدم الذي يأتيها كونه من أصل فاسد وبجور غذائها به سوء مزاجها لفساد غذائها فتضعف القوة الهاضمة لضعفها ايضاً ، فما يأتي المعدة من الطعام يفسد ، والكيلوس الرديء الحاصل من مثل هذا الطعام قد تكرمه الطبيعة فتدفعه بالقي .

والحاصل : ان اصحاب هذه العلة اكثرهم لم يجدوا في معدتهم كيلوساً صالحاً ، انما يكون مائياً أو أسود أو حامضاً ، ومن وجود هذه الاخلاط يكون الجشأ . والاخلط الفاسد الحاصل فيها غير صالحه للاغذاء ، فمروق الماساريقا وسائر الامعاء لم تجذبها اليها فتبقى في المعدة ، ولهذا السبب تكون الرطوبة كثيرة في ثم المريض دائماً ويكون ذلك سبباً لسيلان الامعاء وكثرة البصاق . واذا كانت الاخلاط الفاسدة كثيرة في المعدة والقوة الهاضمة قوية ، فتدفعها بالقي . وفي بعض المرضى حيث تكون حرارة معدته الفريزية ضعيفة فيتولد فيها ريح يمددها ولاء في أطرافها من الاعضاء أي بتداخل جرمها يحصل الوجع ، وفي بعضهم يقع انقباض الارواح ، وفي بعضهم القي .

وهذه الاعراض لها بيان : الاول لاجل مشاركة المعدة مع القلب فيعرض ذلك قبل ان يتألم القلب . الثاني هو ان قبل صعود الانجزة الرديئة والريح الى نفس القلب يعرض له احياناً خفقان .

واعلم ايضاً ان الاخلاط الفاسدة الرديئة المذكورة لا تتولد في المعدة دائماً انما هي تتولد احياناً في الطحال ايضاً ، فتكون سوداء . حامضة تُضرسُ الاسنان وتنصبُ في المعدة فتتأذى منها وتدفعها بالقي . . وأحياناً هذه السوداء . الحامضة تهيج الجوع ، وأحياناً من افراط حرارة الكبد تتولد صفراء . كثيرة وتنصبُ الى المعدة فتدفعها صفراء . محض او مع بلغم . ويقع غشيان وتسقوط الشهوة اي انه لا يقبل الطعام لمرارة الفم .

واعلم ايضاً انه اذا لم يكن في المعدة كيلوس صالح فتولد من ذلك أخلاط فاسدة رديئة متنوعة كما تقدم بيانه آنفاً . فلك الاخلاط الفاسدة تصير سبباً لظهور الاعراض الرديئة في المعدة .

اما الطبيعة فتدفع الاخلاط الغليظة بالقي . ، والرقيقة بالعرق ، والرياح الغليظة بالجلثا فتسكن تلك الاعراض نوعاً ما . وقد تبادى كما هو منقول عن قايروسيون الحكم بقوله : انه شاهد بنتاً في سن الثلاث عشرة سنة كانت مبتلية بملحة المراقيا وكانت تتقيأ الاخلاط الغليظة اللزجة الحامضة فتبادت بها تلك الملحة الى سن الاربعين سنة .

وستطس الحكم قال ايضاً : انني رأيت امرأة كانت منذ ثلاثين سنة تتقيأ بملحاً حامضاً يُضرسُ الاسنان ، وأما ناسر الافعال الطيمية فكانت فيها كما ينبغي .

فمن ثم علمنا ان الطعام الذي يتناوله الليل بعد الهضم الاول يثير الطبيعة ما كان منه لطيفاً وتحيله كيلوساً جيداً فيمتذي به البدن . وما كان غليظاً رديئاً كانت الطبيعة تدفعه بالقي . . ولو لم يكن هكذا لكان يقتضي ان لا يعيش المريض زمناً طويلاً لفقدان الغذاء .

والحكيمان المذكوران قالا : باننا شاهدنا بان المريض لما كان يتقيأ الطعام الذي كان يتناوله كانت تخرج منه الاخلاط الفاسدة وحدها ايضاً بلا طعام . فمن هنا علمنا ان بعض الطعام الذي تناوله ، فالجزء الذي يكون صالحاً منه للغذاء ، كانت الطبيعة تهضه وتحيله للغذاء . واما الران الطعام كله فيستحيل الى الاخلاط الفاسدة لما كان يحتمل ان يكون صاحب هذه الملحة طويلاً العمر .

العلامة الثانية : إن الطبيعة في بعضهم تكون قبضاً (قابضة) وفي بعضهم لينة . والقبض له ثلاثة أسباب : الاول ان يكون في الكبد والطحال سو . مزاج حار فتطلب اليوسه على البدن وتيسر الفضلات التي في الامعاء فيحصل القبض .

الثاني ان البلغم الغليظ اللزج الحاصل في المدة يلزمه ان ينحدر الى الامعاء ، ولكن بسبب غلاظته ولزوجته يبطى . تزوله في الامعاء وفي الحداره بسبب تشبث غلاظته ولزوجته فيحصل القبض .

الثالث ان الصفراء التي تنقط في الامعاء قطرة قطرة لاجل غسل الامعاء فان البلغم الغليظ واللزج المنشبث عن جرم الامعاء يحول بين الصفراء المنصبه اليها وبين جرم الامعاء فلا يؤثر تليذيع الصفراء . فعلى هذه الحال يتأخر جرم الامعاء عن دفع الفضلات التي فيها فيعرض القبض .

واما سبب لين الطبيعة في اصحاب هذه الطلة ، فان منهم من يكون في كبده سو . مزاج حار زائد فتحصل من ذلك كثرة الصفراء وتكون القوة الدافعة قوية جداً فتدفع تلك الصفراء الى الامعاء فتسير سياراً لحدوث اللين .

العلامة الثالثة : ان تكون قراقر في الامعاء فتبتدى غالباً من الجانب الايسر ، وفي بعض الاوقات تسكن وحين يتحرك الريح تظهر القراقر أيضاً . قال سنطوس الحكيم : اننا سكنا اعراض هذا المرض بتكرير الاستفرغات ولكن ما قدرنا على تسكين الريح بالكلية فلذلك قد علمنا ان سـم تسكين الريح هو ان الدواء الذي أعطيناه للمريض لم يصل تأثيره الى المحل الذي فيه الريح .

واما سنطوس الحكيم ، فذهب الى ان الريح لم يجد له منفذاً ليخرج منه لكون المحل للريح هو ما بين طبقتي عروق الماساريقا . والسائل ان يسأل : ان كان هذا الامر هكذا كان يقتضي ان يكون فيه وجع . ومع هذا فان بعضهم في هذا المرض لا يكون ذاها فيه وجع البتة .

الجواب : هو ان كيفية عدم وجود الوجع هو لكون وجود ذاك الريح لم يكن غليظاً بزيادة والحرارة الفريزية تكون قوية فتخرج تركيب ذلك الريح من الطبقات فتكون القراقر .

واما ان كانت قوة المريض ضعيفة وكان الريح غليظاً فيحصل في جوف المريض وجع مثل وجع القولنج . ويعرض له احياناً وجع المعدة مع وجع الظهر ، و احياناً يعرض له وجع الصلب مع وجع الكلى . وأكثر هذه الاعراض تُسكن بالقي . وبهضم الطعام .

١٠ جهلة الاطباء . فيظنون انه مرض حصاة الكلى . وقد روي عن سقراطوس الحكيم قال : انه في عصرنا وجدت رجلاً بعد تناوله الطعام في السابعة والرابعة والحامسة كان يعرض له وجع المعدة والصلب معاً ، وكانت ترى قارورته حمراء غليظة وفي اسفلها رسوباً كالرمل ، وكانت اطباء ذلك العصر تعالجه معالجة حصاة الكلى فلم يجد صحة . اما انا فعالجه علاج المراقيا فصادف الشفاء ، الا انه لم يكن عبثاً ما ذهبت اليه أطباء عصرنا . قال : لأن الخلط الناشئ من ضعف المعدة ليس بيبس ، انه عندما يذهب الى الكلى فيتجبر هناك خصوصاً اذا كانت الكبد حارة ، ولما شاركها الكبد تشتد حرارتها فيتجبر الخلط الغليظ فيها ايضاً . اكنني انا الفقير ، وجدت الفرق بين الرمل الذي يأتي من الكلى والذي يأتي من المراقيا كما سنوضح بيانه قريباً ان شاء الله .

العلامة الرابعة : يعرض للمريض كرب وحزن وانقباض القلب . وسبب ذلك من وجهين : الاول لان الانجزة الفاسدة المظلمة تصمد الى القلب فينقبض منها . الثاني الطعام الذي تناوله لكونه لا يهضم في المعدة هضمًا جيدًا فيولد ريحاً وبسبب تمديد ذلك الريح فيظهر ألم في المعدة حتى يوشك ان يشي المريض . العلامة الخامسة : الحفقتان وسيه من وجهين : الاول هو فساد الانجزة الصاعدة الى القلب . الثاني من مشاركة المعدة للقلب . فالانجزة الرديئة الصاعدة من المعدة تؤثر في القلب تأثيراً شديداً فيتحرك لدفع البخار المؤذي عن حركة سريعة . ولشدة الحفقتان يضرب الشريان الذي في القلب ضرباً متواتراً حتى يئس المريض من حياته .

العلامة السادسة : انه يكون في بعض المرضى ورم في الجانب الايسر في محل الطحال . وسيه اما ربيع نافذة ، واما أخلاط فاسدة متجمعة هناك .

العلامة السابعة : هو ان يحدث في بعضهم سرعة لبض الشرياني المكتنفين الحلقوم حتى تظهر لحس البحر لا سيما الجانب الايسر وخاصة اذا حدث للمريض

حركة عنيفة كالغضب وغيره . وسبب ذلك هو من زيادة حرارة الدم الذي في الشريان ، كما انه يحدث سرعة نبض شريان الاصداع لمن يطيل الوقوف في الشمس او لمن يكثر من شرب الخمر .

العلامة الثامنة : هو ان يحس بعض المرضى بحرقه في مرق البطن . فتارة تكون في الجانب الواحد وتارة في الجانبين . وسببها اجتماع الاخلاط المحترقة من ذلك الجانب .

العلامة التاسعة : يكون أحياناً وجه المريض ووجنتاه في احمرار . وسبب ذلك من صعود بخار الاخلاط الحارة .

العلامة العاشرة : ان اليبوسة تعرض في لسان المريض وحلقه . وسبب ذلك هو صعود بخار الاخلاط المتجمعة من الاعضاء الباطنة الى الرئة او الى قصبة الرئة .  
العلامة الحادية عشرة : انه يعرض عسر النفس . وسبب ذلك هو من صعود البخار الى الرئة والحجاب الحاجز فيضغط حدر العليل والاعضاء الداخلة في صدره .

العلامة الثانية عشرة: انه يعرض احياناً وجع الصدر والظهر . وسبب ذلك ان بخار الاخلاط المتجمعة يصعد الى صدره ومن لدغ البخار وتعدده يحير الوجع .  
العلامة الثالثة عشرة : يعرض للمريض هذيان وهيام في عقله . وسبب ذلك انه يصعد ريح حارة من جانب الطحال الى الدماغ ، ولسبب امتلاء الدماغ يتشتت الروح النفساني فيعرض الدماغ هيام وحيرة الى حين ما يتصلل عنه ذلك البخار فيزول التشتت عن العليل .

العلامة الرابعة عشرة : يظهر للمريض وجع في الشبكة بهذا المقدار حتى ان بعض المرضى يثقل ان تحب رأسه يقلع منه ، وبعضهم يعرض له ظلمة البصر ، وبعضهم السدد والدوار والخوف والغم والغضب والقصة وخيالات متنوعة ليس لها وجود في الخارج . وسبب ظهور هذه الاعراض كلها هو من البخار اليابس الصاعد من المراق .

العلامة الخامسة عشرة : ان لسان المريض يتقل ولا يقدر على التكلم . وسبب ذلك هو من صعود البخار اليابس الى اعصاب اللسان .  
العلامة السادسة عشرة: يعرض طنين في الاذان لصعود البخار اليابس اليها .

العلامة السابعة عشرة : ان المريض لا يقدر ان يحرك يديه ورجليه الا بعسر لبب صعود البخار الى اعصاب اليدين والرجلين . وعندما يتحلل البخار يقدر على الحركة .

العلامة الثامنة عشرة : يظهر وجع في اليدين والرجلين . وسبب ذلك هو من غلظ الانجزة الصاعدة اليها ، او من مائية الدم الواصل الى ذلك المحل ، فعندما يتحلل يزول الوجع . وقد يقع الحور في اليدين والرجلين والسبب واحد .  
العلامة التاسعة عشرة : يعرض للمريض سهر ، واذا رقد فيرى في النوم أحلاماً رديئة خيفة . وسبب ذلك هو ان البخار الصاعد الى الدماغ لكونه حاراً يابساً فيشوش الروح النفسانية ويجفف الدماغ فيورث السهر . وبعض المرضى اذا تناول طعاماً في الليل فالبخار يَطْب دماغه وينام وبعد الهضم يعرض له السهر ايضاً .

العلامة العشرون : ان بعض المرضى ايضاً لا ينام من نصف الليل الى ثلاث او اربع ساعات ، وبعد ذلك ينام قليلاً . وبعضهم لا ينام بعد نصف الليل أصلاً . وسبب ذلك هو ان الكيسوس في كل وقت بعد الهضم حين ينقسم ويأتي الى نفس الطحال فتتحرك الاخلاط الفاسدة والسرداوية المتجمعة اولاً في اطراف الطحال . وبسبب هذه الحركة تصعد الى الدماغ أنجزة حارة ويابسة فتورث السهر . فان كان يمتد البخار فلا ينام المريض أصلاً ، واما ان تحلل فينام مرتاحاً .

والحاصل ان نوم المريض وسهره تتبع لتحلل البخار وعدم تحلله .

العلامة الحادية والعشرون : ان القارورة تكون متنوعة الاشكال ، وهو انما تكون تارة رقيقة وتارة غليظة ، وتارة كبدية وتارة صافية ، وتارة كبدية وتارة حمراء . وتارة يكون فيها رسوب وتارة لا يكون . والرسوب تارة يكون كالدردي وتارة كالزمل . وسبب رقتها هو انه حيث يصير سدة في مجرى البول فيستنع مجرى نفوذ الغليظ . واما الرقيق فيسر وينفذ ، وان لم يكن مجرى البول مفسراً بزيادة يأتي البول غليظاً وكدرأً ومحمراً نوعاً . وبعض المرضى يكون بوله حاراً لكونه محتاطاً بالصفراء . المحترقة فيأتي بحدة ، يعني انه يخرج من الغضب مجرقة . واحياناً يكون البول كزبه الرائحة . وأما البول

الذي يأتي غليظاً فيكون كدراً فاذا بقي في القارورة فيوجد رسوبه في أسفله كالرمل . وحكما الافرنج تعتبر عن هذا الرسوب بالطرطير . وهذه الرواسب تكون مائلة الى الحمرة وأحيانا تكون كبدية وأحيانا تلتصق في أطراف القارورة . وحاصل ان لون الرسوب هو تابع لما يندفع من الاخلاط المحترقة .

- واعلم ايضا انه - كما تقدم ووعدنا - اننا نوضح بيان الفرق الفاصل بين الرسوب الآتية في علل الكلبي والرسوب الآتية بسبب علة المراقيا ليستفيد بعلم ذلك طلبة هذه الصناعة ويكونوا على بصيرة من ذلك . فان الرسوب الحاصلة من حرارة الكلبي بالحقيقة انها لم تكن رسوباً ، انما تكون رملاً صلباً ، وان مرست بالاصبع فلا تنفتت .

واما الرسوب الآتية في المراقيا فانها تشبه الرمل لكنها ليست برمل ، واذا مرست بالاصبع تنفتت وتنحل .

واما كيفية تولد الرسوب الواقعة في هذه العلة ، قال سقراطوس الحكيم : هو عكبر الاخلاط التي في الكبد والعروق الكبيرة المحترقة من افراط الحرارة ، فان القوة الدافعة تدفع ذلك العكبر الى الكلبي فتخالط البول وتخرج منه .

تنبيه : اعلم ان الاسباب والعلامات المذكورة التي يبيدها العلة لا يلزم ان تجتمع كلها في مريض واحد ، وانما اذا وجد بعضها فيه فذلك كافٍ للاستدلال ، لان قلة الاعراض وكثرتها تكون بحسب آفة الاعضاء الباطنة واستعداد المريض والاعضاء المتلفة واختلافها . فان كانت الآفة قوية فتظهر علامات كثيرة ، وان كانت ضعيفة فتظهر قليلة .

فقد علمنا اذاً يقيناً ان الذي يبتلى بهذه العلة لا يقتضي ان يكون تحت مراقه نفخ او صلابة او وجع او ورم في كل وقت .

## المصطلحات العلمية في اللغة العربية

بنظم الأستاذ عادل انوما

□♦♦♦□  
 لقد كثرت الثمرات العلمية في البلاد العربية وازدادت ازدياداً يبعث على  
 الارتياح والاعتزاز . فلهذه الثمرات فضل على اللغة التي تربدها غنى  
 ودقة وعلى الفكر العربي الذي تكسبه طرقاتاً علمية في البحث والتفكير ،  
 بعيدة عن المبالغة والقوض ، مبنية على المنطق والتحقيق ولها فضل على القومية  
 العربية التي تفرزها في مضمار نشر فيه بتقصيرنا وضمنا . واصحاب هذه  
 الثمرات جديرون بكل تقدير وتشجيع فقد يقضي بعضهم في تحضير ثمراته  
 الايام الطوال ولا امل لهم بكبير نفع مادي او معنوي . فاهل الاطلاع العلمي  
 قليلون ومعظمهم يميل الى مراجعة الكتب الغربية ثقة منهم بدقتها وسعة  
 معلوماتها وتنوع ايائها وطرقها . وكأنني بزلغتنا لا تبطلهم هذه العرائق فهم لا  
 ينقطعون عن التأليف والنشر مبهدين بعملهم هذا لنهضة علمية قريبة ان شاء الله .  
 غير ان هذه الحركة التأليفية المباركة تحول في طياتها ضعفاً قد يتحول الى  
 داء مستعص وويل اذا لم تبادر الدول العربية صاحبة السلطان والشأن الى  
 معالجته سريعاً وهذا الضعف انا هو مسألة المصطلحات العلمية التي استعصت او  
 كادت على المؤلفين الذين ذهبوا في يدها كل مذهب . ولنا فيها آراء وخوادر  
 رأينا ان ندلي بها .

من المعلوم ان برامجنا مستوحاة من البرامج الاوروبية او هي منقولة عنها .  
 وكتبنا العلمية الموضوعية تشبه في وضعها الكتب المترجمة ولا عجب فنحن اليوم  
 في عهد يشبه عهد العباسيين في الترجمات والنقل وأي عربي لا يعظم ذكرى  
 حنين بن اسحق والحجاج بن مطر ويوحنا بن البطريق وغيرهم وروى فيهم  
 مؤسسي نهضتنا الاولى التي لا تزال انوارها تبهج اعين المستشرقين حتى اليوم .

قلنا اننا في دور الترجمة ولكن هل توصل مؤلفونا اليوم الى وضع المصطلحات العلمية الاجنبية باللغة العربية ونحن نعلم ان العرب لم يعرفوا من علومنا الحديثة الا اليسير ، فالفيزياء ، بوجه التقريب ولادة القرن السابع عشر وبعض اجزائها كعلم الذرة لا يرقى الى اكثر من خمسين سنة .

على هذا السؤال نجيب بميزتين بين العلوم العليا والدروس الثانوية والابتدائية . ففما يخص الاولى لا بد من التسليم ان آلاف المفردات مفقودة في العربية وكذلك قل في العلوم الصناعية . الا ان الامر في نظرنا ليس بالامر العظيم وهذه المفردات يجب ألا تدخل في لغتنا الا عند الحاجة الحقيقية اليها ، اذ ما الفائدة من وضع معجم بيضمة آلاف كلمة لن يستعملها مئة شخص في عشر سنين !

ومن المعلوم ان عدداً كبيراً من مدارسنا العليا هو اجنبي وان جامعاتنا الوطنية تعمل احياناً على اساتذة اجانب لتدريس العلوم وعلى اللغات الاجنبية ؛ وبما اننا امة علمها مكتسب امة لا تزال فقيرة الى ما هو موجود في بلاد صغيرة كسويسرا وباجيكا والدانمارك<sup>(١)</sup> فمن الحرام ان نسد في وجهنا كل طريق مؤدية الى التحصيل . وأرى ان حرمان الناشئة من تلقي الدروس باللغات الاجنبية وتصرها على اللغة العربية يضر بها وبالامة ضرراً بيناً ويقطع بيننا وبين الغرب ينبوع معارفنا وعلومنا . وبهذا ترى ان العلوم العليا وخصوصاً ما كان منها في دور التطور يحسن بل يجب ان يعلم بلغة اجنبية علمية<sup>(٢)</sup> ويؤيد ما نذهب اليه الطرق المتبعة في جامعات اميركا كهارفارد وكولومبيا وبوسطن وغيرها فانها لا

(١) الدانمارك بلد صغير فيه ثلاثة ملايين ونصف من السكان يحاري في الرقي والسران اعظم البلدان . كفاه فخراً انه انجب نيلسن بومر الذي درس عليه الكثيرون من علماء اوروبا والذي يد من ام مؤسسي النظريات الذرية وقد قام بأبحاثه كلها في مختبرات بلاده وكوفي بجائزة نوبل العالمية .

(٢) فلتنظر في امر طبيب تلقى دروسه باللغة العربية فانه في جهله اللغات الغربية مقطوع عن العالم العلمي كروبنسون في جزيرته . وينا يتقدم الطب بخطى سرية يظل طبيبنا على معلوماته اليسيرة ، هذا ان لم ينسها بالتدريج . وامثال هذا الطبيب خطر على المجتمع . ثم ماذا نصنع بالمحاضرات الطبية واساؤها اجنبية ؟ !

تقبل دالها فيما لم يكن يعرف إحدى اللغتين العلميتين الاfrنسية والالمانية وفي بعض الجامعات يطالب بلفتين اجنبيتين في حين ان اميركا في حال من الرقي العالمي ينفيها عن فرنسا والمانيا . ولكن اولياء الامر فيها يرون من الحكمة الا يتطعروا بين طلابهم ومهذبهم واطبائهم واصحاب الثقافة العالية بوجه الاجال وبين علماء اوروبة وادبائها حتى يتمكن الاميركي من مطالعة المقالات العلمية بلقها الاصلية غير معتمد على الترجمات مهما تعددت .

ثم انا اذا استقرنا التاريخ رأينا ان العلماء في اوروبة في الجيل السابع عشر وما قبله كثيراً ما كانوا ينشرون اجابهم العلمية باللغة اللاتينية . نذكر منهم الفيلسوف والعالم الشهير ديكارت الفرنسي ، ونيوتن النابغة الانكليزي « في مبادئ الفللفة الطبيعية » ، واولر السويسري في القرن الثامن عشر ، وغرض الالاماني الذي نشر حسابياته الخالدة باللغة اللاتينية في مطلع القرن التاسع عشر . ناهيك عن ان الحشرات والنباتات لا تزال تذكر في الكتب العلمية باسمائها اللاتينية حتى اليوم .

في كل ما تقدم بيانه الادلة الناصعة على ان العلوم في اجزائها العالية متعة انسانية مشتركة بين مختلف الشعوب ، واولى ان تدرس بلغة علمية شائعة ، ومن الخطأ ان تحصر العلوم باللغة العربية منذ اليوم ؛ فنكون كاتقارس النبي الذي يفصل الفسيلة عن امها قبل ان تسكن جذورها من التربة فتسوت .

وبنا انا في ذكر اللغات فلا حرج اذا لفرنا عن موضوعنا الاساسي بقضية يرتبط بها مصير النش والعلم . ان اتقان اللغات لمن يعنى بالعلوم امر جوهري . اذكر شاهداً على قولي انني طالمت كتاباً افرنسياً في الرادار ذيل بالانحة من واحد وعشرين مؤلفاً يجدر مطالعتها لاستكمال البحث منها ثمانية عشر باللغة الانكليزية . فتأمل ! وما يقال في العالم يصح في الاديب والمؤرخ فحل من باحث مدقق في تاريخ الشعوب العربية او في فلسفتها يرفع عن معرفة الالمانية والانكليزية ؟ يجدر اذاً بطلابنا ان يحسنوا الى جانب لغتهم لغة اجنبية علمية او لغتين وليس هذا بالكثير على نش عرف بالنباهة وسرعة الحفظ . ويؤلمنا ان بعض الاقطار العربية قد خطت طريقاً معوجة تسير عليها ابناها فهم يحسبون عنهم

لغات حتى بلوغهم الثانية عشرة من عمرهم . فيضيعون عليهم سني الحداثة وهي سنو الذاكرة القوية والقابلية لاقتباس اللفظ الصحيح فإذا ما تعرف الطالب الى لغة اجنبية وهو كبير السن استحال عليه النطق السليم وغلبت عليه الركاسة في التعبير وعظم عليه اجهاد ذاكرته . ولنا في ما يقاسيه الكثيرون من طلابنا في اوروبا الشاهد المؤسفة البليغة على صحة ما نقول . وقد يكفي الطالب الفرنسي من اللغة الاجنبية بقواءها الصرفية والنحوية والكلام المتداول بين عامة المتكلمين بيا ، وليست هذه حال الطالب العربي فان موقفه من اللغات الاجنبية غير موقف رفيقه الذي يجد في لغته بضعة آلاف من الكلمات توجد بحرفها في اللغات القريبة الاخرى فلا يحتاج الى حفظها مجدداً والكلمات العلمية وخاصة الحديثة منها تكاد تكون واحدة في اللغات القريبة فكأنها تولف لغة درلية واليك ما نقلناه على التوالي من صفحة واحدة من قاموس انكليزي افندي Harrap's Standard

|                 |                |
|-----------------|----------------|
| Hyperalgésie :  | Hyperalgesia   |
| Hyperbate :     | Hyperbaton     |
| Hyperbole :     | Hyperbola      |
| Hyperbolique :  | Hyperbolic     |
| Hyperboloïde :  | Hyperboloid    |
| Hyperborée :    | Hyperborean    |
| Hyperespace :   | Hyperspace     |
| Hyperesthésie : | Hyperaesthesia |
| Hypermétrope :  | Hypermetropic  |
| Hyperpiésie :   | Hyperpiesis    |
| Hypertension :  | Hypertension   |
| Hypnose :       | Hypnosis       |
| Hypnotique :    | Hypnotic       |
| Hypochlorate :  | Hypochlorate   |

وقد اعملنا في الصفحة المذكورة من الكلمات المنطقة لفظاً في اللتين ثلاثة  
اضاف ما نقلنا .

## المصطلحات في العلوم الابتدائية والثانوية

١ - نكثت المفردات

ننتقل الآن الى الكتب العلمية للتدريس الابتدائي والثانوي . لقد تفرقت صفوف المؤلفين بشأن المصطلحات . ففهم جماعة انصرفوا الى كتب الاقدمين وخصوصاً في بدء نهضتنا الحديثة واختاروا منها حاجتهم فجاءت المفردات في اغلب الاحيان وافية بالمراد واثباتاً بعيدة عنه . وقد اضطروا الى وضع مصطلحات جديدة كثيرة اما لعدم حصولهم على مجموعة وافرة من كتب العرب واما لفقار هذه الكتب الى بعض التعابير المطلوبة . ولم يكن بين مختلف المؤلفين بحث مشترك في الموضوع او اتفاق سابق فوضع كل مصطلحاته منفرداً مستقلاً وكأنه شاء ان ينفرد في مختاراته وان يميل الموجود في كتب غيره حتى الصالح منه فاصبحنا امام سيل من المصطلحات تتجاوز عددها عدد مدلولاتها اضعافاً . ولا يرى العارفين في ذلك ثراء بل فقرًا وغيماً واذا استمرت الحال على ما هي عليه من الفوضى فالنتيجة زيادة اسباب التفرقة العلمية بين البلدان العربية وجعل ما ينشر في قطر منها غير مانوس عند سكان القطر المجاور او يضطر القارئ الى الاطعام بجميع المصطلحات المستعملة في سائر الاقطار العربية .

مثال ذلك كلمة vertical ترجمت : شاقولي رأسي عمودي قائم

وكلمة espace ترجمت : فضاء فراغ خلا .

وكلمة axiome ترجمت : بديهية ، اولية ، مُتعارَف

وكلمة pancreas : بَنكرياس ، بنكرياس ، حلوة ، نوزة

المعدة ، معقد ، مُشكَّلة

وكلمة inefficent ترجمت : مسمى ، مثل ، معامل ، ضارب ،

عامل . . .

والامثلة على ذلك عديدة جداً .

افلا يحشى والحال على ما وصفنا ان يحول بنا ما حل في الماضي يوم اندمجت القبائل العربية ولغاتها فأصبحنا واللسى الواحد مثات من الاسماء ولافظ الواحد

عدة معانٍ متباينة وقد يطلق على ممتئين متضادين وهي نهاية البعد والاختلاف :  
انه لا ثراء . خير منه الفقر ، اثراء . يشبه اثراء الصحاري بالمال فلا نبات ولا حياة .  
وحسن ان تذكر ما نقله السيوطي في المزمع عن الكتاب المسمى بالانقضاء  
والحروف » ولم يؤخذ اي اللسان العربي عن حضري قط . . . ولا من لحم ولا  
من جذام لجاورتهم اهل مصر والقيط ولا من قضاة وغان واياك لجاورتهم  
اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا  
بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لجاورتهم للقيط والفرس ولا من عبد  
قيس وازد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن  
لخالطتهم للهند والحشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل  
الطائف لخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز » . رحم  
الله جامعي اللغة فانهم رحمونا .

وهنا لا بد من التسليم ان تعدد المفردات لا مفر منه اذا كانت المعاني  
المدلول عليها غير محصورة بالعلوم . خذ مثلاً معنى المرز في قولنا مرور التيار  
الكهربائي في السلك الموصل ، معنى غير محصور بالعلم فلا نستطيع ان نبطل  
استعمالهم تمر التيار او سرى او جرى ولكن نصحهم بالاكثاف . ان هم قوم  
يتصحون ! ويجدر بالاستاذ ان يلفت نظر التلاميذ الى الفروق بين المترادفات  
الثلاثة المذكورة لانا ، الدقة العلمية في عقولهم وازالة الغوض والفهم التقريبي .  
ولا يقبل في حال من الاحوال ان يخالط بين اسماء اشياء مختلفة نستعمل كلمة  
جوقلة او مصاصة او دورق للدلالة على اي انا . او وعاء . كان !

ان التباين في المفردات للتعبير عن شي . واحد ، لا نجده في كتابين طبع  
احدهما في العراق والثاني في مصر بل نجده ايضاً في مؤلفين احدهما شامي والآخر  
حلي وقد يتخذ الى مطبوعات مدينة واحدة ومطبعة واحدة ، وهذه البلبلة في  
المصطلحات تولد مثلها في الافكار والتثقيف وتبعث الحيرة في نفس الطالب  
وتثقل ذاكرته .

## ٣ - الثوبنر في الماني

والخطب الثاني الذي يستهدف الخطره الطالب هو ان يستعمل مؤلف كلمتين للدلالة على شيئين مختلفين ثم يأتي مؤلف ثانٍ ويمكس استعمالهما .

يعبر بعضهم عن *énergie* بالطاقة و *puissance* بالقدرة  
ويعبر غيرهم عن *énergie* بالقدرة و *puissance* بالطاقة

وفي ذلك خطر عظيم ! ومعلوم في تاريخ الديانات ان كثير من الشيع والانشاقات انما نشأت عن تباين في فهم بعض المفردات .

على ان هذا الالتباس يقع احياناً في اللغات العلمية الغربية نفسها ففي الفرنسية يدلون بكلمة *cercle* عن السطح المحصور داخل الدائرة وعن الدائرة نفسها ، وكذلك تأتي *cône* بمعنى المخروط والسطح المخروطي ويسمي بعضهم مستوياً ما هو في الحقيقة نصف مستوٍ . وهذه بقايا تاريخية قديمة ، ايام لم يكن اتفاق بين العلماء ولا مؤتمرات علمية ولا حكومات تنظر في امر التعليم ، ناهيك عن ان الامثلة قليلة جداً تقع في مسائل يسيرة يزول الالتباس فيها بفعل القرينة ولهذا لم يعرهما المسؤولون اهمية ما حتى الآن ولا نشك في انها سوف تزول اما اثر تدخل الدراوين المنحطة واما بدافع الدقة التي تميز بعض الشرب جماعات وافراداً وعلى كل فان الاجانب ما ارغمونا يوماً على تبني سيناتهم وحسناتهم مما وهم لا ينفكون عن اقامة الحلقات العلمية لتوحيد الوحدات او المصطلحات او بعض التوائب ، ويتباحثون ويتناقشون لتنظيم اعمالهم . وعندهم قواميس ضخمة ثمينة للمفردات العلمية يقع بعضها في ست لغات فتأمل .

## ٣ - اختيار المصطلحات والنود الى التقدم

قلنا ان المفردات زائدة عن المدلولات في كثير من الاحيان ومفقودة في غيرها فكيف يكون الاختيار اذاً ومن يكون الحكم بيننا ! انحتكم الى الاقدمين ونعود الى لغتهم ونتبهما حرفياً . انصعد في الزمان عشرة اجيال ونبني صرحنا العلمي بمجاراتهم ؟ ان الرأي الشائع هو ان الاقدمين كانوا اسلم لفة منا لترهيم من البداوة وبعدهم عن الإعاجم واخذهم عن الاصول اليونانية . ولكن

الحقيقة ابعد ما تكون عن الاحكام الجازمة العامة وهي كثيرة التشعبات والعقد  
ككل الامور التي تتعلق بالاحياء . ولذلك فليس كل ما وضعه التراجمه سلباً  
صحيحاً بل هنالك ما هو عقيم سقيم ، فعندهم الفصيح والوكيك والبليغ والردي .  
يضاف الى ذلك اغلاط النساخ التي تجعل بعض المقالات مقلقة لا معنى لها مطلقاً .  
ثم ان التآليف والتراجم العلمية القديمة تستوعب اربعة اجيال ايام لم يكن من  
طباعة وتتناول بلاداً شاسعة من البحرين الى الاندلس ، بلاداً كانت المواصلات  
بينها نادرة شاقة . ولهذا تطورت لغتها ونشأت متعددة وهو امر يتعدى العلوم  
الى سائر مواطن الفكر ، فلفة الفارابي غير لغة ابن سينا ومن المعلوم ان العقبة  
الجمهورية التي لا نريد من تذليلها هي تفهم لغة كل فيلسوف تفهماً دقيقاً كاملاً  
فنظرياته وبراهينه مبنية على بضع مفردات كالنفس والروح والمادة فالبلبله التي  
نشكر منها اليوم كانت موجودة عندهم . ويجدر بنا ان نذكر هنا ما جاء في  
شجرة المجمع اللغوي المصري لدى بحثه قضية المصطلحات العلمية . قال :  
« فاصطلاحات الفقه والنحو والحديث والحساب والهندسة والجبر والمنطق كلها  
عربية . ولكنهم عندما توغلوا في ترجمة العلوم اليونانية والهندية ، كان النصحاء  
قد انقضوا من الامصار . وتولى الترجمة بعض مستعربة الاعاجم ، من لم تستحكم  
مرتهم في العربية ، فجزوا عن ترجمة بعض الالفاظ الاعجية مع وجود مرادف  
لها فيها ، ودوتوا من اسما الحيوان والنبات ما لا تعرفه العرب باسمائها الاعجية ؛  
وعمت الباري باستعمال فلاسفة المسلمين واطباهم لهذه الالفاظ ، وخاصة من  
كان منهم من سائل اعجية ، كالفارابي والرازي وابن سينا . ولكن كثيراً  
من اصحاب المعجمات ابرأ تدوين الاعجمي المحدث ، وعابوا على صاحب القاموس  
نقله لكثير من اسما النبات والحيوان والعقاقير الاعجية » . (سنة ١٩٣٤ ص ٢٠١)  
هذا ما طلع علينا به المجمع اللغوي على اننا وان كنا لا نقر رأيه بكامله  
نجد فيه تحذيراً للذين يقرلون بالرجوع للتقديم دون ترو وتحيص .

٥ - اللغويون والمصطلحات العلمية

وسنعود بعد قليل الى قضية الترجمة ونكتفي الآن بالإشارة الى عقلية  
بعض اللغويين الافاضل الذين يحرصون على سلامة اللغة الى حد يريدون معه ان

يقفلوا في وجهها العالم وكل مقتبس اجنبي مع انهم يعرفون جيداً ان من المستحيل تحديد اللغة العربية ويوم نشوئها ومكانه وكيف تطورت قبل ان استقرت والمفردات التي اندثرت منها ، ويعرفون ايضاً ان من الكلام العربي المتداول الفصح ما هو اعجمي واكثره ضاع نسيه فادخلوه في النسب العربي . وهناك ألفاظ فارسية وهندية وحشية وعبرانية وسريانية واكثرها لم يعد يتغير اصله فعدّ عربياً . واليكهم امثلة نستمدّها من مجلة المجمع المذكور ، من مقال للاستاذ بندلي جوزي ؛ وفيه يذكر ان في العربية ما يقرب من سبعة كلة اصلها يوناني بعضها يرقى الى الاجيال الاولى للمسيح ايام لم يكن للعرب آثار مدونة محفوظة :

برج ، زوج ، سفينة ، منبر ، جنس ، جزية ، جسر ، درهم ، قطر ، لص ، كيس ، نوتي ، ناموس ، مرهم ... وهلم جرا .  
وقد عمدنا ذكر هذه الكلمات لان فيها من الفصاحة العربية والصيغة العربية ما يبعث على الشك والحيرة ، وكذلك قل عن المدينة فان اصلها سرياني وبلد اصلها غالباً لاتيني وقرية فينيقية تحريف قرناً ومنها قرطاجانة ، وضعة وقد تكون فارسية . ولا غرابة فالعرب وهم قوم رحّل لم يكن عندهم ما يعبرون به عن الحياة الحضرية .

واذا كان العرب الاقحاح لم يجدوا غشاضة في تبني الكلمات الاعجمية فلم لا نبتناها نحن اليوم وحاجتنا اليها اضاف حاجة العرب الاولين ؟ مع المحافظة طبعاً على الصيغة العربية وعلى قواعدها في اللفظ ووقعها الموسيقي في الاذان .  
ومحذّرني في هذا المعرض من الحديث ملاحظة اتى عليها مفتش الدروس الثانوية في لبنان الاستاذ واصف بك البارودي اذ قال : « كان للعرب جرأة الفراعنة الفاتحين الذين يحتلون البلاد واللغات ولا يروون في ذلك خطأ من سيادتهم » اما نحن فاخشى ان يكون لنا بعد عقلية الخلس المنكسر فاذا تناولنا كلمة اعجمية فكأنها ملكتنا . نضرب مثلاً واحداً من مئات اريد المجمع النوي المصري ان يقال بدلاً من *z'ai téléphoner* أرزّزت !! اما في لبنان فيقول العامة تَلَفَّنت وهو تركيب عربي سائغ على اللسان والاذان . ولا شك ان لفظة هتفت افضل من تينك اللفظتين ولكن لا مانع مبدئياً من التعريب اذا لم نجد في العربية كلمة سلسة تفني بالمراد .

ولا نرى بدءاً من الإشارة الى امر هام هو ان اللغة مظهر من مظاهر الحياة يخضع لقوانين الحياة كما انها اداة للتعبير وليست غاية تقوم بنفسها فلا مبرر اذن ان نسكر العلم للغة وننخذ له من المفردات ما يلي منها ، توصلنا الى احيائها فما وجد العلم لبث الاموات . تقول هذا حداً من . ساعي بعضهم وللكشف عن عقلية رجعية . فمن مقترحات لجنة المجمع اللغوي المصري للتعبير عن :

(١) yacht دونيج ونهبوع بدلاً من يَخت فانظر الى غرابة هاتين اللفظتين المتوعرتين اللتين لا يتبادران الى ذهن احد انها عربيستان ، بمكس يخت .

(٢) train rapide : الجهيذ وهو الخفيف من الخيل . ولعلمهم ارادوا به ، على سبيل الفكاهة طبعاً ، الموت السريع كما جاء في اللغة ايضاً .

(٣) Express : الزفوف وهو من الزوق الحسنة السير السريعة .

(٤) Volant d'une voiture : دَوَّطيرة وهو اسم مهجور لكونتل السفينة .

كأنني باصحاب هذه المقترحات لا يهدفون من ورائها الى اداء المعنى بل الى بث المنة كلفة المختصة بالابل والخيول من مراقدها وقد كفانا المجمع شر هذه الكلمات النائية الجافية في اجتماعات متأخرة ولقر كالحقي سباق وسريع .

على ان اللغة مع ذلك لا تقوم على قرارات مجمع ما بل على استعمال الكتاب واصحاب الجرائد والعامية وكلما توعرت المصطلحات اتست مسافة الخلف بين اللغة العامية والفصحى .

٥ - عودة ثانية الى الاقدمين

اما وقد اظهرنا المساوي الناجمة عن تسخير العلم للغة فلنعد الى المصطلحات العلمية وكيفية انتقائها فنقول : لا بد من اللجوء الى كتب الاقدمين فان ما وضمه من عشرة اجيال ونيف قد بث في مؤلفات النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر . فان ما يدرسه اليوم فتياننا في الحساب والطبيعات وعلم الهيمنة والهندسة يكاد يكون بكامله في كتبهم الا ان ما نأخذ على مؤلفينا المحدثين هو انهم لم يحسنوا دوماً الاختيار كما انهم لم يحسنوا التتبع والتحرير وعلينا

ان نتصرف الى التفكير في اقوم الطرق لاصلاح هذا الخلل . وفي الرجوع الى امثال الخوارزمي والبتاني والحيام وغيرهم اقرار بالجيل وتقدير لمبتكرة مفكرين افزاد بمدى علماء العرب اعلاماً نيرة في طريق العلم على مر الاجيال وفي الرجوع الى الاقدمين عربون شكر من احفادهم على مجد تليد . فلا بأس اذا اشربنا في حواشي كتبنا المدرسية الى مصطلحات استعملوها واجلنا الى اهمالها او الى بعض حلول لمهمات اشتهروا بها مع ذكر نبذة عن تاريخ حياتهم . ومن الطبيعي اننا لن نأخذ عن المتقدمين كل ما تركوه لنا ففي مؤلفاتهم مسائل عديدة لا تهتنا اليوم والعلم قد تطور فبعض فروعنا وبعضه تلاشى ففي مقالات اوقليدس كما نشرها العرب اشياء كثيرة عن الاعداد الكاملة والمتحابة وغيرها وعن خصائص النسب والتناسب نذكرها اليوم وقد درسها الغربيون حقبة من الدهر ثم اهملوا واذا ذكر منها الذر القليل فعلى طريق التسلية .

ومن المصطلحات ما شاع اليوم وانتشر فلا سبيل الى بدله<sup>٩</sup> بما هو في كتب العرب لما في ذلك من تشويش وبابله . من ذلك ان كلمة عدد عند العرب تدل على الصحيح منه ويقولون ثلاثون من العدد بمعنى واحدة . . . وهذا طريف ويجدر بالاستاذ معرفته ولكن من الخطأ الاستناد اليه في عالمنا اليوم حيث اتسعت كلمة عدد حتى حوت جميع الاعداد الصحيحة والكسرية والعشرية والسلبية والموجبة وغيرها .

وجاء في كتاب عمر الحيام : رسالة في براهين الجبر والمقابلة : عادة الجبريين ان يستروا في صناعتهم المجهول الذي يراد استخراجُه « شيئاً » ومضروبُه في مثله « ما<sup>١٠</sup>اً » ومضروب ماله فيه « كمباً » ومضروب ماله في مثله « مال مال » ومضروب كمبه في ماله « مال كمب » ومضروب كمبه في مثله « كمب كمب » . ويشبه هذا التعمير الف الف .

قلنا ليس من عادتنا اليوم ان نسمي مضروب عدد في نفسه مال العدد بل مربعه وهو افضل فان مساحة المربع تساوي مضروب ضلعه في نفسه فتة صلة بين المفردة ومدلولها لا نجدُها في مال . ثم انا نقول مكعب العدد وقدرته الواحدة او الحامة او الساحة او الترتية للدلالة على مال المال ومال المال كمب ومكعب الكمب . وفي كلمة قدرة توسيع وتوحيد لفكرة ضرب عدد في نفسه

وما كان المتقدمون ينظرون في مضروب أكثر من ستة اعداد متساوية في نفسها ونفضل لفظة قدرة على قوة تاركين القوة للتعبير عن force جاعلين لكلمة puissance المستعملة في الفيزياء والرياضيات مرادفاً واحداً في اللغة العربية . وهو اوجه .

اما لفظة شي . فقد تغابت عليها في عصرنا لفظة المجهول رغم فصاحتها وسهولتها ونجد لفظة شي . في كتب التربيين القديمة أخذاً عن العربية . فقد جاء مثلاً في الحل المنظوم شعراً لمعادلة الدرجة الثالثة الذي اوجده العالم الايطالي تارتاليا سنة ١٥٣٥<sup>١)</sup> :

Quando che'l cubo con le cose appresso,  
Se agaglia a qualche numero discreto.

إذا كان المكعب المضاف الى الاشياء مساوياً لعدد ما اي  $s^3 + b s = c$  .  
ومن اللجوء الى كتب ائمة العرب الرياضيين ندرك سبب التشويش الحالي في التعبير عن بعض الالفاظ البسيطة امثال directrice, inscriptible, trapèze . . . وتتوصل مع الاستعانة بالاصول اليونانية الى التعبير الصالح الفحل .

٦ - التريب اي قل المفردات بلفظها الاعجبي

لا شك ان كتب الاقدمين لن تمدنا بمصطلحات العلوم الحديثة كاملة فئات من المستويات نكرة عندنا . فاية فئة منها يجوز او يجب نقلها الى العربية بلفظها الاعجبي ؟ .

قد يشور غضب بعض القويين لسؤال بري . يجدون فيه تهجماً على سلامة اللغة . ولكن انحرص على لغتنا اكثر من الالمان وهم مبتدعون نظرية الجنس الآري ؟ انبذ ما اقدم عليه اجدادنا من قبل في سبيل افاء اللغة واحيائها ونحفظهم ونقبحهم ؟ ومتى افسد الباذنجان على العرب انتهم ؟ وامل الخطر ليس في ادخال المفردات بل الاساليب الاجنبية الزكية ؟ ولكننا نعتقد ان الروح العربية اقوى وانها ستستل الدخيل الاجنبي وتحوله الى جوهرها كما يتسل الجسم الاطعمة المختلفة ويجعلها الى دمه ولحمه . وهذا الامتراج امر نشهده في سائر

(١) ذكر في الترجمة الانجليزية لكتاب الفكاهات الرياضيات لروز بال الجزء الثاني .

مظاهر الحياة فالموسيقى العربية مثلاً تزدرد اليوم القطع الأوروبية بشبهة عجيبة ولا شك أن ساعة الهضم والامتثال سوف تدق يوماً .

جاء في مجلة المجمع اللغوي المصري : « ودخول الاساليب الاعجمية في اللغة العربية قديم يتصل بالهد الجاهلي ، ثم نشط في العهد الاسلامي ، منذ حمل راية الكتابة فيه عبد الحميد الكاتب ، ثم تكاثرت ونما في العصر العباسي ، وحامل راية التعريب فيه ابن المقفع ، حتى كانت نهضتنا الحديثة فرجع ، يترانه وطفى دارفانه ... لكن الاساليب الاعجمية موجودة في اللغة العربية على كل حال . وربما وجد لها شواهد في شعر عدي بن زيد العبادي الذي تربى في بلاط الاكاسرة وله شعر كثير مملوء بالكلمات الاعجمية فيمد الا يكون في شعره اساليب اعجمية ايضاً . وكذا يقال في شعر الاعشى وغيرهم من الشعراء الذين خالطوا الاعاجم وتأثروا بثقافتهم .

... اما نشوء الاساليب الاعجمية في صدر الاسلام فيكفي شاهداً عليه ما قاله ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصنائع : « الا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحولها الى اللسان العربي » . ( ١٩٣٦ ص ٣٣٣ ) .

ويستدل من ذلك ان من الضروريات في اللغة ما لا مفر منه ، والقضية في العقل وعدم المبالغة . وقد أقر المجمع المصري انه « اذا لم يجد بعد البحث اسماً عربية لها ( اي للمصطلحات ) وضع اسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة من اشتقاق او مجاز او غير ذلك ... فاذا لم يوفق في هذا التجأ الى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة واوزانها بقدر الطاقة ...

ويجوز المجمع ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » .

فاذا ما اقررنا مبدأ التعريب فنحول النقاش الى مدى تطبيقه . مثال ذلك . يريد المجمع المذكور ان يترجم كلمة yard بالذراع الانكليزية و metre بالذراع الفرنسية وما العمل اذا بالمقاييس الاخرى taille, toise, pic . وهي عشرات ! مع العلم ان « متر » و « يرد » لفظاً عربيان بدرجة قدر وبيت وهما شائتان

ايما شيوع بين العامة والخاصة ، ويجدر اعتبارهما لفظتين « دوليتين » . ويريد ترجمة mark, franc بدينار افريقي ، ودينار الماني مخالفاً بذلك سنة الاختصار والتسهيل بادلاً كلمة اجنبية باتنتين ونحن نرى ان تنقل بالفاظها الاعلام مثل Watt, Ohm, Ampère . . . وكثير منها اصبح اسماً لوحدات المقاييس وبؤخذ لفظها الصحيح عن لفظها الاصلية Ampère عن الافرنسية ، Ohm عن الالمانية وهلم جرا . ولما كان اللفظ الاجنبي لا تؤدبه دوماً الاحرف العربية فيتبع في نقله قواعد معينة رافية فنقول پ عن p وث عن v وقس عليه كما هو وارد بالتفصيل في الابحاث المختصة . وفي ذلك الدلالة على نسبة الاجنبي ولا نرى ضرورة من تحويل Ampère الى امبير بالباء فهل نمنع عارف اللفظ الاصلي من لفظه صحيحاً ؟ وباعة الجرائد في شوارعنا ينطقون بالاسماء الاجنبية صحيحة وهم أميون . واما الاعلام القديمة او الحديثة التي اشتهرت بنطق خاص في اللغة العربية فتبقى كما عرفت اوقليدس ، ارسطو . . .

وتعرب ايضاً الا في ما ندر اسماء وحدات المقاييس التي لها صفة عالمية امثال gramme, dyne, litre . . . ومشتقاتها <sup>١</sup> décagramme, kilogramme, hectogramme الخ . . . ولا نرى رأي المجمع المصري القائل بان يترجم décimètre بالشعر و centimètre بالمشير و millimètre بالمشار وغايته احياء ثلاث مفردات عثر عليها في زاوية منسية من المصباح . والالفاظ cent, milli, déca . . . تدخل على وحدات كثيرة ويستحيل علمياً الاستغناء عنها وكذلك تنقل بالفاظها اسما المناصر الكيماوية والاجسام المشتقة منها الا ما شاع عند العرب قديماً كالكبريت والقلو فنقول tungstène, cobalt, cadmium, brome, bore ويختص بالاحرف اللاتينية للرموز .

هذه بعض احوال يتوجب فيها التعريب وليست غايتنا ان نحيط بجميعها . ولا نثلثنا مبالغين في نهج هذه الحطة من النقل ونحن ممن يودون ان تسحب من التداول ومن افواه سائقي السيارات امثال كاربيداير ، موتير ، شيرير ، أكس ، بوجي . . . وان تبدل بالفاظ عربية كالفحم ، والمحرك كما حات السيارة والطائرة مكان الاتوموبيل والافيون . وفي استعمال العامة لهذه الكلمات دليل واضح على ان العلم والصناعة قد دخلا الاسواق قبل المدارس وكسب اللغة .

ومنى ربي الجليل الجديد على المفردات العربية وعمّ استعمالها بين الطلاب  
فالمفردات الاجنبية تتلاشى بفعل الحال ويبطل استعمالها بين الناس . اللهم اذا  
اوجدناها بديلاً سانغ اللفظ حلو السمع فلا نفعل فعل المجمع المصري الذي اقترح :  
زَفْزَافَة بدلاً من motorcycle .

تَمَوَّن لذرّاعي مَقود الزَفْزَافَة .

ذبذب بدلاً من pendule ويستملون في سوريا لفظة نواس وفي لبنان وقاص  
طبّاطبة م م م ضرب لعبة cricket .

فكيف تشيع امثال هذه الالفاظ وتنطاق على اللسان والمجمع هو القائل  
» ان في بطون المعجمات مئات الالوف من الكلمات المهجورة الحسنة النعم  
والجرس « .!

•

تقف عند هذا الحد من بحثنا وقد اردنا ان نبين مرضاً من مواضع الضعف  
في نهضتنا العلمية والاضطراب التي تنجم عنه . وننهي مقالنا بفكرة عملية . ليس  
في وسع الافراد ان يفرضوا على امة بأسرها مشروعاً هاماً كتوحيد المصطلحات  
رغم الحاجة اليه وما يرجى من منافعه الادبية والعلمية . فالكلية اذن للحكومات  
المسؤولة وللجامعة العربية التي تسمى في توحيد كلتنا في مختلف مظاهر حياتنا  
القومية . هلّا اقرّت هذه المقترحات وعقدت مؤتمراً من الاختصاصيين عشرين  
لأعضائها ، يتم عن يدهم وضع جداول بالمصطلحات والتعابير والرموز العلمية  
باللغات الثلاث العربية والافرنسية والانكليزية على ان تستعمل دون سواها  
في المؤلفات العربية وفي الامتحانات الرسمية . وهكذا نكون حققنا عملاً نافعا  
للشعب العزيز وميتدا السيل امام علماء القد .

واذا لم يلاق نداؤنا اذناً صاغية عند الدول العربية فربماؤنا الى حكومة  
لبنان ان تحطو الخطوة الاولى وتقرر في داخل اراضيها توحيد المصطلحات . فلبان  
كان ولا يزال الهادي في طريق التقدم والرفق .

## لا بد من المحافظة على العهود

او إشراف شمس العقود على الافول

عبد شول فابيا

استاد في معهد الحقوق

حب الاستطلاع المهني لما كنتُ في «يابلي» Valassai إحدى مدن الكرون الفرنسية الرئيسية ان ازور محكمتها واشهد إحدى جلساتها ، فذهبت اليها ، فاذا بها كثاية عن ردة فيجة كان يسود عليها ضرب من الرعب، وفيها قاضيان من ابنا البلاد نجاولان الترفيق بين شخصين متخاصمين، ويدرسان دعواهما، فاكان مني ألا ان جلست بالقرب منهما مع الترجمان .

وكان احد المشيين رجلاً طاعناً في السن تكسو وجهه حية رمادية وتلمع عينا بين احقان تكاد تكون مطبقة. اما الثاني فكان فتى ممشوق القامة تبدر على وجهه علام الصراحة .

وبعد ان اطلع الترجمان على قضيتهم اخصيا لي كما يلي : هذا الفتى يدعى بيير وقد كان صياد سمك، فارصى الشيخ المسن المدعو «نكرومو» النجار، ان يصنع له زورقاً على ان يدفع له الثمن ثلاثئة فرنكاً .

وقد جاء في بنود الاتفاق بينها : على «نكرومو» ان يسلم قبل الشتاء الزورق الى بيير ، ومضى خمسة اشهر او ستة على الاتفاق بينها والشيخ لم يسلمه الزورق مع ان بيير قد دفع له اقساطاً من ثمنه بلغت قسماً مئة وعشرين فرنكاً . ويقول «نكرومو» ان باستطاعته ان يسلم خصمه زورقاً صغيراً جد الصغر ربما كان اوفى ان يلهو به ولد صغير في احد الانهار اكثر منه ليير الذي لا يجوله الزورق ان يمخر في ماء راكد . ومع ذلك يطلب «نكرومو» ان يكون الثمن مائتين وخمسين فرنكاً لا مئة وثمانين .

وسا . بيير الذي كان مسيحياً وقضى بعض الوقت في المدرسة ان يرى الاستقامة عرضة للامتهان، كما استاء ايضاً من انتهاك حرمة القدر انتهاكاً صريحاً .

اما « نكومو » فلم ينكر اقوال خصمه ولكنه استنرب منه هذا الاصرار على البر بالهد .

ورجال الادارة الفرنسيون في غير بلادهم يُعنون بعادات الشعوب التي عهد بها الى فرنسا، حتى جعل عدد كبير من الملحوظات التي دونوها في هذا الصدد موضوعات اطروحات للفوز بشهادة الدكتوراه في الحقوق<sup>(١)</sup> .

وذهب الباحثون المتقنون الذين يُعنون بدراسة حياة البشر (Musée de l'Homme) واقاموا بين هذه الشعوب ، وقد وضعوا كتباً لانهم كلهم من ذوي الكفاءات وصفوا فيها وصفاً دقيقاً حياة هذه الشعوب الاجتماعية<sup>(٢)</sup> .

فئة مؤلفات في تناول الجميع تصور عادات زنوج افريقية الانثوائية؛ في خليج « غنيه » او في السودان<sup>(٣)</sup>، وتعالج هذه المؤلفات مطولاً قوانين الزواج واليلة والوراثة ونظام الملكية العقارية . اما عقود المقاولات التي تحتل مكانة رئيسية في اقتصادياتنا وحقوقنا فنضرب عنها صفحاً ومن البعث ان نجد فيها بعض الايضاحات عنها .

ومراقبة زنوج افريقية عن كتب تحملنا على ان نرى في حقوقهم التقليدية الموروثة التي تنظم اعمالهم انهم يكادون يجهاون مفهوم العقد عندنا .

وما اكثر ما متاح الفرصة للواطن الافريقي الذي يكفيه القليل لمعاشه ان يقايض بتجات حرثته والبهائم التي يربها والحيوانات التي يعطادها او ان يبيها . فذلك لا بد للصيد ان يطلب من الحداد نبألاً لقومه والفلاح حديداً لمحراثه او ادوات زراعية اخرى .

ولا تجري هذه الاعمال بينهم الا عن طريق المبادلة او استخدام نقد لشئها يدعى ( الكوري ) cauri . اما اليوم فانهم يستخدمون بدلاً من القرنك او الشلن . وتجري العقود بينهم من دون ان تتضمن اية موجبات كانت اي على قاعدة

(١) ومن هذه الاطروحات التي قدّمت في مهاد حقوق بيروت : Maurice BERTAUT, *Le Droit coutumier des Boulous* ; Yves NICOL, *La tribu des Bakokos* ; وما هذه الكتب الا الجزر . François PUIG, *Étude sur les coutumes des Cubrais* . البير من الاطروحات من هذا النوع .

(٢) مثلاً : (السودان الفرنسي) Denise PAULME : *Organisation sociale des Dogons*

(٣) مثلاً : Maurice DELAFORSE : *Les Nègres*

المقايضة التقليدية تارة او على مقياس المدل طورا. وفي السودان نرى مبدأ المقايضة في اساس كل عقد وكل قاعدة للحياة الاجتماعية، ولا حياة لجمهورهم الا على قاعدة التبادل. ولقد شهدنا فتياناً يدرسون الحنطة في اثناء فصل الحصاد ليتناولوا اجرتهم من المشروبات بعدئذ، وكذلك الحداد فانه يقدم للفلاحين ادواته الزراعية في غضون فصل البذار، ولا يقبض ثمنها في الحال ونفا متى انقضى الموسم يقوم برحلة يطوف فيها القرية حاملاً قربة بيده من جلد الماعز، فيتقدم من الذين باعهم ادواته ويعرضها عليهم فيلقون فيها شيئاً من محصول الذرة التي حصدها بفضل ادواته... وتجري الاعمال من هذا النوع يومياً وفقاً لمفهوم ان دلت على شيء فانما هو يشير الى اهمية مبدأ التريث لقبض الثمن....

فما اشدنا بدءاً عن منطق واجبتنا الجامد الناجم عن التعاقد حسب طريقة الرومانيين واذا كانت الحقوق لدى شعوب البحر المتوسط القديمة تشمل على اشكال عديدة بزاياها الخاصة الرسمية لجمل العقود والارتباط بها كعقوبات مقبولة الشروط، فاننا لا نلاحظ شيئاً من هذا النوع في الاجراءات الموروثة عن جدود سود افريقية الاقدمين. فعندهم البحث في شؤونهم التجارية والتعاقد يوضع اليد باليد الطريقة المعروفة لدى الجميع، بيد ان هذه العادة لا تشكل لديهم عهداً باتاً كما هي الحال لدى الفلاحين الاوربيين، بل تدل على مهادة بسيطة اذا ما تبينت المصالح لتشير الى قبول مصالحة مؤقتة لا امل منها.

ولقد تم الاتفاق بين بيب و «نكومو» يوماً على بئ. زورق بثلاثشة فرنك وكان نكومو يعترف بذلك. اما بيب الذي اوحى اليه ارتياده المدرسة ومخالطته البيض ما يكتنه هؤلاء. من احترام للعبود التي يقطعونها بموجب عقد بينهم فكان يقول: من واجب نكومو ان يقوم بتنفيذ ما وعد به له بحسب الثمن المتفق عليه، وان لم يكن حجم الزورق محدداً لان الاستقامة توجب عليه ان يبينه كافياً ليستخدمه بيب، فنكومو لم يكن يجمل عندما تم الاتفاق قامة بيب ولا مهته، على حين ان نكومو رفض بمقليته الجامدة كافريقي قديم وبدون ادنى مبالاة ان ينجم عن ذلك الاتفاق واجب الزامي عليه ان يتسه بصرف النظر عن اي اعتبار جديد اخر، من حيث اذا كان ذلك من مصلحته او مما يلائمها.

ولم يكون العقد بينها الا ضرباً من ضروب المصالحة التي يظل احد الطرفين المتعاقدين حراً في ان يضع حداً له متى شا. من دون ان يكون للفريق الاخر ان يرى في ذلك ما يخالف القانون .

وربما كان نكومو يعرف ان للبيض مفهوماً في هذا الموضوع مختلفاً عن مفهومه، وعلى كل انه مفهوم يطبق عندهم ولا يصلح العمل بوجهه الا في الملائق بين السود والبيض وذلك اذا ما دعت الحاجة فقط . اما في علاقات السود بعضهم ببعض فلا قيمة له .

ولهذا السبب لم تتحقق المصالحة بينهما في تلك الجلسة . اما القاضيان اللذان عملا على انخقاق الوقت بينهما فلم يقررا رفض اعادة النظر في امرها ، فكأنهما شعرا وجدانياً ان الاتفاق يتعدى نطاق الدعوى التي كان عليهما ان ينظرا فيها بالاستناد الى مفهوم موروث عن الجلود يعرفونه حتى المرفقة وبين مفهوم جديد كانوا يستثمرون ضرورته كقاعدة للملائق الاجتماعية في وسط اخذت تتطور فيه ضروب النشاط الفردي وشرعت تتباين شيئاً فشيئاً . على حين ان المبادلات كانت آخذة بالاتساع . على صعيد واحد مع ذلك التطور . ولو كان قدر لها الوصول الى تحقيق الاتفاق بين المتداعين فانهما كانا يعتبران ان تطور تقاليدهم هو للصحة العامة .

ولم يكن لدي سبيل الا ان اقدر لذينك الشمين وجدانها وحكمتها ، ولا سيما لانها لم يحاولا التسلق الى السلطة الادورية التي اسندت اليها وظيفتها ، ولم يجربا ان يقرضا بالعنف القاعدة التي يعمل بها البيض ، ويعدونها اسمى من قواعدهم ، من حيث قيمة العقود المألزمة ، وذلك في الوقت الذي كان بيدو فيه البيض على استعداد للتخلي عن التقيد بهذه العقود وان لم يعلنوا صراحة رأيهم هذا .

ما برحت حياتنا الحقوقية تسيرها قواعد بعضها من الوصايا المشرة وبعضها حديث النشأة ، وهذه الاخيرة ليست من السور في الدرجة التي للقواعد القديمة . ولقد ورننا الكثير منها عن الحقوق الرومانية كما كانت في القرن الرابع المسيحي : كالقاعدة القائلة ان العقود الصحيحة وان في ابط اشكالها تكون القانون للمتعاقدن حتى ينتهي تنفيذها : « يجب المحافظة على العهد » .

وعندنا ان العقود التي تمت شرعاً تكون حق الانتها. من تنفيذها القانون للتعاقدين . فتي كان الفرقا. المتعاقدون ذوي اهلية تمكّنهم من التعاقد سواء من حيث سنهم او صحة عقولهم ولم يجردوا من ممارسة اهليتهم وعقروا عقداً بدون خطأ وتحتل او اكراه مبطل بشأن عمل ممكن مشروع، فان رضاهم تلد منه موجبات عديدة بحسب طبيعة العقد ومزاياه وتكون قابلة للتنفيذ بواسطة الاكراه الاجتماعي .

ان المدين لا يستطيع ان يتفادى عن ايفاء الدين الذي تعهد به واذا لم يسقط الدائن دينه ولم تكن هناك قوة قاهرة ، فان ادعاء المدين الحسارة في اعماله والخطأ في تقدير ما كان يقع على عاتقه بسبب الظروف التي لم يكن يتوقعها في اثناء العقد ، فتقلت كاهله تثقيلاً لم يكن يجبانه ، لا تجعله غير موجب بالايضا . فاذا رفض ان ينفذ ما تعهد به لانه اصبح حملاً باهظاً عليه لم يكن يتوقعه وانه سيؤدي به الى الافلاس ، فانه لا يعرض نفسه للحكم عليه والاكراه القانوني فقط ، بل الى تلويح الرأي العام له : من وعد بشي عليه ان يبر بوعده .



لا يتناول مفهوم قيمة العقود الموجبة ، الملائق الفردية فحسب، بل يتعداها الى علائق الامم بعضها ببعض ، ويستند في ذلك الى حق الافراد فقط التي اصبحت تقليداً دولياً معتزلاً به، بل الى معاهدات اخذت بالازدياد والتعقيد يوماً عن يوم .

وقباً يختص بملائق الامم لم تبق قيمة العقد مقدسة الى تلك الدرجة حتى لا يجوز متها . فنذ وقت طويل سلوا بتخفيف حدة المعاهدات ( تعديلها ) باعتبار ما طرأ من تبدلات على الظروف بعد عقدها، وحتى في وقت لمدة معينة فان تنفيذها بالحرف لم يكن مرجحاً الا في الحالة الراهنة . اما في الحالة المماكة فتعدل او تهمل .

ولما كان تقدير تبدل الظروف عرضة للاخذ والرد في تحقيقه، وبلا كانت مراجع تنفيذ الموجبات الدولية ما زالت بدائية جد البداهة، فلذلك لا نستطيع ان نقارن مفعول المعاهدة الازامي بقوة العقد الخاص الازامي .

اجل ان الحقوقى يحل تميذا بين الحقوق الداخلية والحقوق الدولية وبين القواعد التشريعية ، على حين ان الجاهل يقبل بالقطرة وحدة الحقوق بصفة كونها قاعدة اجتماعية قد تعسفت - والظاهر ان تطور الحقوق لا يشجب هذا الشعور .

ووفقاً للفئة رجال القانون : لا بد ان يكون هناك جذع مشترك لاننا نتكلم عن فروع الحقوق . . وانجازاً لهذه الصورة المجازية يسمن القول ان شجرة الحقوق تنبت في وقت ما فروعاً جديدة كأنها تختلف عن الفروع السابقة ، ومتى اصبحت غضة تشابكت اوراتها باوراق الاغصان الاخرى . ولذلك اشار الحقوقيون المتوقدو الذهن<sup>(١)</sup> الى تداخل الحقوق بعضها ببعض : وفي الواقع ما زلنا نجعل كيف كان قضاء الامبراطورية الرومانية يطبقون في احكامهم مبدأ « يجب الحفاظ على العهود » وبي تعديل يخفف من حدته كانوا يلجأون اليه في سبيل اقرار العدل .

والذي تعرفه ان علماء الحق للقانوني في القرون الوسطى كانوا يعتبرون البند : يجب الحالة الراهنة - ( *rebus sic stantibus* ) متقدراً ضمناً في جميع العقود وحتى في عقود الحقوق الخاصة ، لانهم كانوا يقولون ان المتعاقدين مفروض فيهم انهم اخضعوا ضمناً قديمهم بتنفيذ موجبات عقودهم المينة للمحافظة العامة على الحالة الراهنة القائمة في وقت اتمام العقد .

وتبنت هذه النظرية مدرسة بارتول ( Bartole ) ومن ثم التعليلان الايطالي والالمانى حتى القرن الثامن عشر . اما كبار مشرعي القرنين السابع عشر والثامن عشر الفرنسيين فنبذوها ، يحقرهم حرصهم على ان يحملوا الاستقرار في جميع القوانين استقراراً يبدو اقل وهماً مما هو عليه في الاوقات الحاضرة .

وفي الخارج قبل كروتيوس ( Grotius ) وپوفندرف ( Puffendorf ) ان يقتصر على تطبيقه على الحقوق الدولية . اما القانون المدني الفرنسي وعلماء حقوق التاسع عشر فاهملوه كل الاهمال في الحقوق الخاصة .

Jean RIVERO professeur à la Faculté de Droit de Poitiers (١)  
Droit public et droit privé : conquête ou statu quo. Chronique au Dalloz.  
1947, p. 69.

ان عدم الاستقرار في احوال الاقتصاد الذي مرده الى عهد الحربين الكبيرتين اللتين بدأت اولاهما سنة ١٩١٤، والاحترام الكبير للمزايا التقدمية في علم الحقوق، وتأثير مفاهيم الحقوق العامة - كما اشرنا - على مفاهيم الحقوق الخاصة، قد آلت الى حلول رشيدة، وبيئت ان ثمة تقرباً في الحقوق الخاصة من مفهوم مشتري القرون الوسطى، الذي بطبيعته ظل، كما رأينا، مفهوم الشعوب التي لم تجارنا في مضمار التطور.

=

وجاء في نص المادة ١١٣٤ من القانون المدني الفرنسي بمباراة جازمة :  
« ان العقود المكونة قانونياً تقوم مقام القانون لدى الذين عقدها . فلايستطاع  
فسخها الا بتوافقهم جميعهم وللاسباب القانونية» .  
وتنص هذه المادة نفسها ايضاً على انه « يجب ان تنفذ بحسن نية » . وفي  
غضون المئة السنة من الاستقرار الاقتصادي التي تلت القانون المدني لم يخطر  
ببال احد ان يكتشف بمباراة « حسن نية » فاتحة لتطبيق البند القائل « يجب  
المحافظة على احوال الراحة » ، مع انهم قد استنبجوا من المادة ١١٣٤ انه على  
القاضي ان يتقيد بالعقد كتحقيقه بالقانون نفسه، فلا يعدل شرطاً من شروطه ولو  
مهما كانت اعتبارات العدالة واضحة بخصوصه .

ولهذا السبب ابت محكمة التمييز الفرنسية سنة ١٨٧٦ على القاضي  
صلاحته ان يرفع ديناً بواسطة عقد في القرن السادس عشر . وبين فيه اصلاح  
اقتية الري - على انه من الواضح ان التية المنصوص عليها في العقد أصبحت لا  
تكفي ابداً عقب التبدلات التي طرأت على العقود .

واحكام كثيرة من هذا النوع وكما يواضح الحجة قد رُذت<sup>(١)</sup> ، وفي  
سنة ١٩٣٣ نظرت محكمة التمييز الفرنسية بدعوى في اصلها ان احد المدينين  
بالمشروبات كان قد تعاقد مع صانع جعة لم يكن بتاريخ العقد يصنع غيرها  
من المشروبات على انه من عنده فقط . وبعد ان وسع صانع الجعة عمله وشرع  
يصنع ( الليوناده ) و ( الكازوز ) ادعى على ذلك الرجل بان تعاقد معه

Cassation française, 6 mars 1876. aff. Canal de Craponne. D. P. 76. I. 193 ; 17 Juin 1896, D. P. 99. I. 159; 8 août 1900, Sir. 1903. I. 46.

يجبره على ان لا يتسوّن الا من عنده من هذه المشروبات<sup>(١)</sup>. وكررت المحكمة تأكيدها انه لا يجوز للقاضي لسبب عدل او لاي سبب آخر كان ان يعدل عقداً اثنى. بكل حرية ويحمله يشمل بضاعة اخرى لم ينص عليها... وفي هذا الباب يشمل قانون الموجبات اللبناني على عبارة اشد مرونة واكثر حكمة من عبارة القانون المدني الفرنسي وقد نص في مادته ٢٢١ : « ان العهد المتضمن شرعياً تجبر المتعاهدين وعليها ان تفهم وتؤمل وتنفذ حسب حسن النية والعدل والمعاداة ».

والعبارة التي اقترحها الشارع اللبناني هي العبارة نفسها التي اقترحها احد الحقوقيين الفرنسيين الذي لم يكن يجمل القانون المدني ولا قسمة الكللت وانما كان من ذوي العقول النيرة التقدمية الانسانية<sup>(٢)</sup>. ولا مندوحة من ان يزول الاختلاف بين الصارتين الى حلول تختلف اختلافاً محسوساً عن الحلول التي جئنا على ذكرها .

وثمة متسع لناخذ بعين الاعتبار في المادة ٢٤٩ من قانون الموجبات : « يجب على قدر المستطاع ان توفى الموجبات عيناً اذ ان للدائن حقاً مكتسباً في استيفاء موضوع الموجب بالذات ».

•

ان موجبات الملتزم والمقاول في العقود الحكومية كالتزام للمصلحة العامة وكسوق الاعمال العامة ( وعناصر التجهيزات ) لاشد صرامة حيال الدول والمجتمع العام من موجبات المدين بمقد خاص . ففي حالة الشك يفتر العقد اولاً بكل صراحة لصالح قيام المصلحة العامة باعمالها قياماً متظلاً ، مفيداً وفقاً للتقليد العام، الملتزم والمقاول مجبران على تنفيذ كامل بشروط العقد طالما بالاستطاعة الرقابة بياولوطرات حوادث استثنائية لا دخل لادارتها بيا وجملت امر تنفيذها يلقي عبئاً باعظاً عليها ويؤدي بهما الى الافلاس .

وما الذريعة في هذا الصدد الا قولهم ان القضية هي تأمين استمرار المصلحة

(١) Cassation française, 8 mai 1933, D. Hebd. 1933, 395.

Louis JOSSERAND, professeur à la Faculté de droit de Lyon, Conseiller à la cour de Cassation.

العامة وانتظامها لان توقعها يحدث اضطرابات اقتصادية واجتماعية خطيرة ولان الحكومة نفسها لا تستطيع ان تحمل فوراً محل الملتزم والمقاول ، ولا ان تجد حلاً خلفاً بالشروط نفسها التي لم يتقيداً بها . واذا فسح المقاول عقد تعاونه مع المصلحة العامة من دون ان تكون هناك موانع تجعل الوفاء بشروطه مستحيلاً، اعتبر مسؤولاً وغرم العطل والضرر وسقوط حقه من العمل وتحمل الاضرار والخسائر. وانه لحل شديد القسوة في العقود ذات الاجال الطويلة، اذ ان هذه العقود في الترامات المصالح العامة قد تمتد غالباً الى نصف قرن او الى قرن تقريباً . على حين ان الاوضاع الاقتصادية قد اصبحت منذ الحرب العالمية الاولى لا تعرف الى الاستقرار سبيلاً . لكنهم يتذرعون لتبرير هذه القسوة بمصلحة الامة العليا التي كانت تنطبق على مفهوم القانون المدني القائل بقوة العقود الموجبة .

وفي اثناء الحرب العالمية اوجد ارتفاع اسعار البضائع والخدمات بسبب كثرة الطلب وتدني ثمن النقد، حالات عديدة اضطرت المقاول والملتزم الى الافلاس من جراء تنفيذ موجباتها. ولكن هل لكل منها من فائدة اذا ما افلس او اذا ما اصبحت في وضع يستحيل فيه عليها الوفاء بتمهدياتها، على حين انه لم يكن احد مستعداً لا الامة ولا الفرد لستانفا عمالها في شروطها نفسها ؟

وبل الحكمة قبل قاضي الادارة الفرنسي ومجلس الشورى منذ سنة ١٩١٦ ان توازر الحكومة من يعارضها ليقوى على التغلب على الضائقة التي كانوا يفترونها ستمهي بانتهاا الحرب . فنشأت عن ذلك نظرية غير المنتظر التي توجب على القاضي ان لا يصلح العقد، وانما ان يحكم على المقاول بالوفاء بتمهدياته والتعاون مع المصلحة العامة بتوجب شروط العقد وذلك حيال الحوادث الاستثنائية التي لا ارادة للتعاقدن فيها التي كانت غير متوقعة في غضون اتمام العقد. وانما يحق للمقاول ان يطالب باشتراك الحكومة في الخسائر تحت شكل تعويض<sup>(١)</sup> . وفي سبيل تحديد هذا التعويض ينبغي ان لا نأخذ بعين الاعتبار الربح الذي لم يُفتر به، وانما الخسارة الناجمة عن مجموعة العقد، واذا كانت تستدعي الافلاس وقابلة لتفضي الى ايقاف المصلحة لتضرر بالامة .

Le premier arrêt du Conseil d'Etat fut rendu au profit de la  
Compagnie du Gaz de Béthune le 30 mars 1916.

ولقد كانت اول مخصصات للتعويض عن الخسائر غير المنتظرة تستند الى فكرة مساعدة موقفة للشريك في العقد، تمكنه من اجتياز فترة صعبة، على ان ينقطع التعويض متى تصبح الارضاعات الاقتصادية قريبة من اوضاع العقد وتنقطع الخسائر عن ان تكون مجلبة للافلاس .

ولما لم يتحقق الامل بالعودة الى الارضاعات الاقتصادية السابقة كان لا بد من النظر في تعديل العقد، ولم تستطع الامم الا ان توافق على تعديله في جميع الحالات التي بدا لها فيها انها لا تقوى على الاستغناء عن المساعدة الخاصة .

ومنذ ذلك العهد شرع جميع الملتزمين لآجال طويلة لا يحجبون عن ان يدخلوا في صلب دفاتر شروطهم بنوداً لاعادة النظر فيها . بحسب القرائن او بموجب قوانين معينة .

وعلى هذه الصورة قد عادوا ظاهراً الى تطبيق العقد تطبيقاً دقيقاً، وانما جعلوا له مرونة لم يكن يعرفها من قبل. ولا ريب في انه اذا طرأت ظروف اصبحت معها شروط التعاقد عاجزة عن انقاذ الملتزم او المفاوض، استأنفوا عودتهم الى نظرية الامور غير المنتظرة .

لم تتناول نظرية الامور غير المنتظرة العقود الخاصة، وانما منذ اندلعت السنة الحرب اتخذ الشارع على عاتقه امر التدخل في العقود الخاصة وعهد الى تقدير اجلها. ولما دام القتال امداً طويلاً جدد هذا التمدد، وما هي الا بضعة سنين حتى ادرك انه لا يستطيع الرجوع عن هذا التمدد بسبب ما اعترى الحالة الاقتصادية من طوارئ عميقة الا بالتخفيف من اعباء المدينين . فالتفت - لهذه الغاية - قرارات في لبنان منذ سنة ١٩١٩ بحيث اعاد النظر في عقود الاجارات وانشتت لجان تحكيمية خاصة لذلك .

وترضى القراران اللذان صدرا الاول رقم ٦٥٥ بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٢١ بشأن تسديد الديون المؤجلة، والثاني رقم ٧٩٧ في ٣١ اذار ١٩٢١ بشأن فسخ بيع الحرب هذه الغاية .

وكان هدف القرار الاول الرئيسي تمكين المدينين بعملة تركية وخاصة بعملة تركية ذمية ان يسددوا ديونهم التي انتهت امد تأجيلها بداعي انتهاء .

الحرب بفائدة اقل من الفائدة التي لو ساء للدائنين ان يطالبوهم بها وان يدفعوها بتقد لبناني تساوي قيمته قيمة الليرة الذهبية التركية بصرها الرسمي لسحتهم حقاً. ولا يبعثنا في هذا البحث معدل الفائدة الذي تبناه الشارع في قراره الا قليلاً، ولكن لا مندوحة لنا عن ان نذكر في هذا الصدد بعض تلك الاعتبارات التي كانت كموتلة لقراره :

« وحيث انه من خصائص كل دولة ان تعين قيمة النقود التي أنشئت في اراضيها بموجب قانون، وحيث ان المتعاقدين من جهة اخرى باشرطتهم عملة معلومة قد تعرضوا ضمناً للتقلبات التي يمكن ان تحصل في هذه المادة من جراء نظمات تشريعية جديدة تقضي بها ظروف قاهرة او ضرورات اقتصادية ... »

« وحيث ان التدابير التي اتخذت في هذا الصدد ترتدي طابع النظام العام، وان المحافظة عليها تفرضها وتقررها الضرورات الاقتصادية والحالة النقدية الحالية التي تكون ظرفاً قاهراً ... » الخ.

ورسم الشارع بنسبة الديون النقدية بمباراة حكيمة صريحة قاطعة حق الدولة في التدخل بتنفيذ العقود الخاصة وفقاً للظروف الاقتصادية الطارئة التي لم تكن متوقعة في اثناء اتمام العقد « بما ان عدم انتظار وقوع الامور هو احدى ميزات حالة الظروف القاهرة ».

وانشأ القرار ٧٩٧ قانوناً استثنائياً في لبنان وبلاد العاردين لفسخ البيوع وضمان المقاربات التي باعها اصحابها في اثناء الحرب . ولقد كانت تلك العقود من المتفق على فسادها بصورة عامة لانها تمت تحت مؤثرات العنف والاكراه والاحتيال وذلك دون نظر الى الحالات الخاصة. ولم ينظر القانون في سبيل تقاضي تلك القرائن الا ان يأتي بالجرهان المناقض لها. فكان على الذين اشتروا الاملاك في ايام الحرب لا يستطيعون التهرب من فسخها ما لم يدفعوا عنها ثمناً اضافياً يخضع لتحكيم المحكمة .

ان القرينة العامة التي لا تدحض لا تصدر عن الوقائع، فلذلك ليس لها الا اساس قانوني. والواقع انها لم تكن الا التبريد عن الحقوق التي ادعاها الشارع لنفسه ليعيد النظر في العقود الخاصة .

لقد اتاح تدني النقد او تخفيضه الذي توالى منذ سنة ١٩٣٦ مناسبات اخرى امام الشارع للتدخل في تنفيذ العقود الخاصة ولذلك سنقتصر على التذكير بالتدخلين الاولين .

ان القرارين رقم ٢١٢/ل.ر و ٢١٣/ل.ر الصادرين في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦ قد عدلا تسوية الديون المدنية الناجمة عن اقراض النقود المدونة بعملة غير الليرة اللبنانية او السورية او الفرنك الفرنسي وتنفيذ عقود الايجارات المعقودة بعملة غير العملة اللبنانية والسورية والفرنسية .

وفي المقدمة على هذين القرارين لم يهتم الشارع لتبرير تدخله، وانما اكتفى بالتصريح «... لتتفق الحكومات»<sup>(١)</sup> على الحكم بضرورة انتدابير التالية . ومن ذلك العهد قد تصرف دائما بالتأكيد نفسه . وقد يكون من البعث ان نعدّد بالتفصيل الحالات التي تدخل فيها بالعقود الخاصة في اثناء الحرب من ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ ولا سيما في قضية ايجارات المنازل : لانها لا تزال ماثلة في اذهان الجميع . ولقد اصبح من الان وصاعداً عدم تردد الشارع في ممارسة صلاحيته لاعادة النظر في اي عقد كان من الحقوق الخاصة كبداً ، اذا رأى الظروف تقتضي ان يتدخل .

■

ان القدامى الذين درجوا على احترام العود المقطوع والمواثيق المرسولة احتراماً يكاد يكون اشبه باحترامهم للامور الدينية يستنكرون هذه الاجراءات ويتعجبونها كظواهرات «لانزول الحقوق» ، التي كتب احد كبار علمائها الفرنسيين في صدها ما ماله : « ما هو ضعف الحقوق الجديدة التي تُمدُّ ؟ انه هو الذي اوجده حكمة ذات سلطان لا تعرف حدوداً لاستبدادها ولا تستشر الآبقتبات الرأي العام . «لا ريب في انهم ما برحوا يزكّدون انه من الواجب تحقيق العدل ، ولكنهم يقولون اليوم العدل الاجتماعي فحذار حذار كل صفة يصفون بها العدل»<sup>(٢)</sup> .

Il s'agissait des gouvernements des États du Liban, de Syrie, et des (١) Alaouites.

Georges RIPERT, Membre de l'Institut de France, professeur à la (٢) Faculté de Droit de Paris, *Le déclin du droit, étude sur la législation contemporaine*, Paris 1949, p. 7

« ان كل شيء يصبح حقاً عامة »<sup>(١)</sup>. « بيد ان اشد القلاقل يثأق عن تدخل الشارع ... ان ذاك الاحترام « للعقود » قد زال من الوجود »<sup>(٢)</sup>.  
 وما لا سبيل لانكاره هو ان تدخل الدولة قد كان غالباً تدخلاً آخرق اذا اعدّه موظفون لم تستوكفا منهم مع حسن النية، وارقة مجلس نيابي بدون ان يتمق في مناقشته اذا كان همه الاستعجال في اتخاذ المقررات، وغالباً ما كان هذا التدخل بفضاً، عندما املته الاهواء السياسية وفكرة الاحزاب الانتقامية بعد وصولها الى الحكم.  
 ويصدر هذا التدخل عن الفكرة التي جثت بمثل حيي عليها وهي موجودة في المجتمعات الانسانية المريقة في البدائية : وليست الفكرة المشار اليها غير ان العقد هو الذي ينظم علاقات البشر بعضهم ببعض بصفة كزهم يعيشون في المجتمع، فهو حتماً يتاثر تنفيذ بالتقلبات الاقتصادية الطارئة على هذا التنفيذ. ومنذ الساعة التي لا يتم تنفيذ شروطه غزياً ولا تظل الحالة الاقتصادية مستقرة طول مدة تنفيذها، ينبغي للمتقدين ان لا يعتبروا بان انجازهم لشروطه سيتم وفق نصوص عقدهم تماماً .

ان القاعدة القائلة بالحفاظ على الموائيق (Pacta sunt servanda) والمادة ١٣٤ من القانون المدني النابوليوني قد كانتا وليدتي عهد استقرار اقتصادي واجتماعي لن نعرفه ابداً. اما المتقاعدون الفطنون فلا يغفونهم ان يتوقعوا (اعادة التوفيق) بين عقودهم والظروف الطارئة .

وفضلاً عن هذه التحولات للمستقبل لا بد لنا من ان نتوقع ان يتدخل الشارع تدخلاً اعتاده لدى التقلبات الهامة الطارئة يوم التماقد اما تدخلاً بنفسه واما ان يعهد به الى القضاة .

أو لا يستطيع الشارع ان يستيب عنه القضاة ليتولوا دائماً امر التوفيق بين العقود والظروف القائمة ويمنعهم هذه الصلاحية .

ويبدو لنا ان تطوراً في هذا الاتجاه ان لم يكن قريباً جداً فليس لنا من سبيل لنكره ، وذلك بسبب استمرار عدم الاستقرار الاقتصادي واتساع مفهوم الحقوق الاجتماعي. وما علينا الا ان ندين ، بشعور مختلف ، اقول شمس العقود .

Ibidem, p. 37 (١).

Ibidem, p. 182 (٢).

## الأميرة هيفاء والأمير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية أدبية (تابع)

بقلم

الأب مبارك ثابت اللبناني

رئيس دير المغص في البراية

١١

الى نوسلانا

ايقن الأمير انه لا قبل له بمصادمة الحملة التركية وقد تفرق عنه مخالفوه  
وسدت في وجهه طرق النجاة الى حوران للاتصال بمخلفائه فيها . ولم يبق الا  
باب البحر مفتوحاً من ميناء صيدا . فأبرم العزم على السفر الى ايطاليا قبل  
فوات الفرصة ما دام هذا الباب غير مقفل . في وجهه . فاعز الى الحاج كيوان  
ان يهيئ معدّات السفر . وكان قد رسم قلعة بانياس وقلعتي اردن وشقيف تديون  
وجهزهما بالميرة والذخيرة ورتب لحايتهما فرقا من السكبان ونقل حاشيته  
وعائلته الى قلعتي بانياس او الشقيف الا زوجته التي كانت في صيدا . ولم يعد  
يتيسر له ارسالها الى احدي القلعتين فزم على اخذها معه الى اوربة .

وارسل الى قلعة الشقيف يُخبر هيفاء بعزمه على ركوب البحر ويوصيها بالتجلد  
على فراقه الى ان يفتح الله ابواب الفرج ويسهل سيل اللقاء . فوقع الخبر في  
قلبا وقع السهام وبكت بكاء مرّاً . وكتبت تقول له : الصبر يخونني منذ الساعة .  
لا طاقة لي بفراقك . فان شئت ان اكون معك حيث تكون والا فابيئي  
وبين اليأس الا خطوة قصيرة . ويوم تركب انت السفينة اركب انا الجنازة .  
تودّعني وانت على شاطئ البحر واودّعك وانا على حافة القبر . اذا بلغك نبأ  
موتي فاذكر محبتي لك مدى تسع سنوات " قضيناها معاً تحت سقف بيتك ايها

(١) تروج الامير بابتة يوسف باشا عام ١٦٠٣ ثم بابتة عمها الامير علي سيف عام ١٦٠٥ .  
وفي ذاك العهد تروج حسين بن يوسف باشا بابتة المعني . وقال بعض المؤرخين . ان الذي  
تزوجها هو يوسف باشا قس .

الامير الحبيب . واذكر ما تقدمها من سني مجتهدنا المصورة بالاشواق والمولودة بالآلام . اذكر ذلك يا اميري المحبوب وبلل الهواء الغري بدمعة وسله ان ير على قامة الشقيف ويسبح بنجاحه المرطب على ضريح زوجتك هيفاء .

فلنا قرأ الامير الرسالة اخذ يتأوه ويتضور ويجرّض بريقه ولم يملك نفسه من البكاء . وكان يعلم ان ما تقوله هيفاء . انما هو مثال ما بقلبها . فايقن انه ان سافر دونها ، فان لم تنتحر ياساً هلكت غماً . ولم يكن حبه اياها باقل من حبا اياه . فوقع في حيرة من امره . ان استقدمها الى صيدا . فقد لا تبلغها قبل عود الاسطول العثماني الى مينائها<sup>(١)</sup> وان خلاها فقلبه لا يطارعه بعد ما علم من حالها . فقرر رآيه على استقدمها . فالتقى هذه المهمة الى الشيخ ابي نادر الحازن واوصاه ان يأتي بها في خمسين من مماليكه .

والقى مقاليد الحكم في غيابه الى اخيه الامير يونس ونصب ابنه علياً معاوناً له وامره بالانتقال الى دير القمر . فاصبحت هذه المدينة قاعدة لبنان ومركز حكومته ومقر الاسراء المعنيين فالشهابيين فالمتصرفين الى عهد الحرب الكونية . وكان الاسراء المعنيون قبل رحلة الامير يصرفون فيها طائفة من فصلي الشتاء والربيع وكانت قاعدة حكمهم بمقلين . وقد خفيت علة انتقالهم الى دير القمر بعد سفر الامير . ولعلها فضل ركونه الى اهلها واعتماده على بأسهم ودعائهم واخلاصهم وبقا . وفانهم وولائهم مع ما لمديره الحاج كيوان نعمة الديواني من جليل الفعل في رجه المعنيين ولا سيما حربه بالاميرين فخر الدين ويونس الى كسروان انقاذاً لحياتهما من سخط تركيا المقي في سنة يتر عدوتها السقاح ابراهيم .

وقبل ان يتم اسبوعان وطأ السفر ظهره للامير . فاجتمع الى صيدا . حشد كبير من اعيان الشوف ليشيعوه وفي طليعتهم اخوه يونس وابنه علي . وكان في المينا . مركبان افرنسيان ومركب هولاندي استأجرهما الامير<sup>(٢)</sup> .

فأقله احد المركبين الافرنسيين في خمسة وعشرين من مماليكه وحمل الآخر زوجته خاصكية ومها جواريا واخوها الحاج علي بن ظافر . واقل

(١) كان احد بانا الحافظ قد استقدم الدارة الثانية من دودس الى صيدا . خوفاً دون فرار الامير بجرأ . وما لبث ان اقلت لاستقاذ مركب من ايدي القرصان على ما مر .

(٢) قال مؤرخ حياة الامير : وأدى اجرهما خمسة عشر الف ذهب وبقي معه من ماله خمسة وعشرون الف ذهب ووزع بين الفلاح مئة الف ذهب لتفاتها .

المركب الهولاندي زوجته هيفاء . ومعها الحلاج كيوان وخوادمها وخمسة وعشرون ملوكاً . وكانت هيفاء قد قدمت من قلعة الشقيف بجفارة الشيخ ابي نادر وخمسين نفراً عليهم البلوكباشي مصلي اغا . قال بعض المؤرخين ان الامير استعجب اربماً من نسانه . ولما اقلعت المراكب وقف الامير واخذ بيستانه مندبلاً ايض يزهزه في الهواء نحيةً وتوديعاً فهزهز المشيئون مناديلهم وهتفوا بصوت واحد طبق الغضا : على الطائر الميسون ! واجهش كثيرون في البكا . . . وكان بعضهم يقول : لا طال غيابك ! وبعضهم . لا عدت الا ظافراً بذاك ! وآخرون : لا تنس رجالك وبلادك يا امير . . . وظل المودعون والمشيئون على الخطاطب بالاشارات والعيون تلاقي العيون والقلوب تلاثم القلوب الى ان اتسعت شقة البعد واسبل الليل حجاب الظلام بين الفريقين .

مخرت المراكب كنسور تشق باجنحتها جوف الهواء وتطوي بامراءها فيفاء الغضا . فاحتجب عنها البر واكتشفتها زرقة البحر وبينما السماء صافية وحركة الموج بطيئة وقلوب المسافرين مطمئنة اذا بالرياح تصف وبالنجوم تتواوى وراء سحاب متلبد . وبانساب يلتف كثيفاً على السفن . وبالامواج تتلاطم وتطفو وتسقط على المراكب جبالاً . فأمست في هبوط وصمود كمين بطن واد الى ظهر تل ومن قعة تل الى بطن واد . فوقع في قلوب ركابها الرعب واشتد عليهم الخطب وايقنوا بالهلاك ودفعوا اصواتهم بالدعاء . ضلوا الطريق في جوف الازرق الغدار وتمثل كل قبره في اعماق الموج وبطون الحيتان . وتخاف سير المركب وابتعد كل منها عن صاحبه تتجاذب ايدي الاقتراح . وتمثل شبح الموت لرجال الامير في اشد الصور هولاً . وخانتهم الحيلة وسدت في وجوههم مذاهب النجاة . الحرف والانس مستوليان عليهم لكن احدهم لم يثبت بكلمة تذمر . اخرنسهم شدة محبتهم للامير . تناسوا الخطر الملم والخطب المدلهم واقبلوا على اميرهم بشور باحثة قائلين : بارواحنا انت احبنا الموت في سبيل حياتك ورضاك . وكان هو يشيخهم ويؤملهم بقرب الفرج ويشير في انفسهم رجاء الخلاص ويذكرهم بالبسالة التي خاضوا بها المعامع وجابوا المخاطر والشدائد وخرجوا على ذلك سالمين . لان العلامة مكتوبة لهم وما كتب لاروى فليس منه مفراً .

وكان يتنى لو كان الى جانب هيفاء في مركب واحد لكان يعضد

ضعفها ويلطف من ذعرها ، وان كان لا بد من ملاقاته الخلف في مبلغ اللجة يلاقيناه ممّا متعانقين فتفيض روحه على قلبها وروحها على قلبه وان ملك ان يفديا بحياته فذلك احب اليه لانه اكل في المحبة واعرق في الاخلاص . ما حيله وهو لا يملك لا هذا ولا ذاك ! اخذ يلوم نفسه على حمله هيفاء في غير مركبه ، وزاد في غمّه وقلقه انه لا يدري أحية زوجته ام ميتة . وكان ينتقل من فكر الى فكر فا يزيد الجديد الا قلقاً وعذاباً . قتلت له هيفاء بين مرجتين هائلتين انطبقتا عليها كجبلين فاذا هي بين شذقي المنون وقد بسطت ذراعها كن تلمس شيئاً تعلق به وقفزت الى ما فوق لتتشق الهواء واطبقت شفيتها محاذرة ابتلاع الموت مع الماء فاذا بهما تنفتحان قهراً وامتلات امطاؤها ماء وما هي الا هنية حتى برز رأسها ثلاث برزات وانفست في اللجة . وكأنه صمها تردد في صدرها الفاظ الاستغانة والتوديع : « فخر الدين ! اليّ ! اليّ ! الوداع ايها الحبيب الوداع ! الوداع ! لا غرقت مثلي ! فخر الدين . فخر الدين... » غاب وعيا ونسبت بها اظافر التراع . وهي تتخبط في جوف الازرق العجاج . ولم تبطؤ ان امت جثة بلا روح .

وقف الامير هنية تجاه هذا المشهد الخيالي المريع كأننا هو نجاء حقيقة واقعة ، فكان كأنه يرى ويسمع كلّ ما تصوره ويحسّ من نفسه انه يماضي مع قرينته المحبوبة الناعسة كلّ ما تسانيه من عذاب الفراق ومفاجأة الفرق الاليم . وغلب عليه الوهم بشدة الحرف عليها حتى أخذ يهيم بالقاء . نفسه في اليم فيد يديه ليأخذها من يدها وينشلها ، وكأن المرح يواربها عن نظره فلا حيلة مع الحرمان ! كم رداً اذ تمثّلها وهي تلفظ الروح لو تلتئى تلك الروح العزيزة بشفتيه فتخرج بروحه ما دام في قيد الحياة . او لو سكب عليها روحه فتحيها بها ويموت ، او تطير الروحان ممّا في فضاء الابدية الفسيح .

هذه الكارثة التي استولت على مخيلته ومكنها فيها إسحاق المحبة غيت عن ذهنه ساعة ذكر لبنانه المحبوب الذي لاجله عانى هذا السر الشاق ووقع في هذا الخطر الذي لا يأمن شرّاً غائلته . ولشدة حزنه وانفصاله انبه لنفسه كالسنيقظ من حلم زاعج ثقيل . واستعان على تغيير هذه الافكار المشرومة بافكار اقرب الى الغال والرجاء .

قال في نفسه : قد تكون هيفاء حيةً وانا ابيكها وقد لا أسلم انا من الفرق وهي سالمة فينالها من الحزن ما يكون الموت بازائه اهن عليها . فما ينفعنا الساعة الا التمس النجاة من الله سبحانه . لقد قيل لي ان يسوع المسيح إله كيوان نمسه و ابراهيم الحازني قد أمر الريح نائرةً في بحر طبريا فانقطع مهبها فور كلفته ، وهدأت امواج البحر فنجنا تلاميذه الذين كانوا معه في السفينة بعد ما اشرقوا على الفرق . فاذا نجيتني يا إله محبي من هذا الخطر المحيق بي حتى لا يتشقى بهلاكى مبغضى ، ثم يسرّ لي المود الى لبنان لاقاتل عن استقلاله فانت إلهي وإله ذريتي الى الدهر .

فلم يكذب يتم هذا التذر حتى انقلبت العاصفة نسياً فاعماً واثيان الماء الى سكون ، فذهب الحرف واقبل الفرج وما بطؤ الليل ان انجلي وتفر الصباح ان اقتر ، فشد ما كان من قلق الامير اذ نظر من كل صوب فلم ير مركب هيفاء . ولا مركب جاكصية . قال لمن معه ما نصنع ؟ فاطرقوا مفكرين ، فأجمعت الاراء على المضي في السفر . قالوا ان كان المركبان قد غرقا فلا حيلة في قضا الله وان كنا سالمين فسنمثر عليهما . وكانوا اذ ذاك في مياه الاسكندرية فلم يتلوا اليها بل آثروا السفر لمواتة الريح ، وراحوا ينشدون المركبين وقلوبهم بين اليأس والرجاء . في عرض البحر وفي كل ثغر يمرّون به حتى بلغوا ايطاليا والتوا مرساة مركبهم في ميناء ليفورنا من مقاطعة توسكانا . فوجدوا مركب الاميرة خاصكية في الميناء . لم ينله ضررٌ وجميع من فيه على احسن حال . فهنا بعضهم البعض وتساءلوا عن مركب هيفاء . فلم يقف له أحد على خبر . فقول بالامير غمٌ شديد ، وخزن لحزنه كل من كان معه وانتالت عليه التفرية من كل فم . مباعدن عنه اليأس حتى يحصل الايقان من مصير المركب المفقود .

اوفد اهل توسكانا يستطلعون ظلع القاحمين ، فقيل : فخر الدين امير لبنان وحاشيته قدِموا حاجة لهم عند كوسوس دوق توسكانا الكبير . فرحبوا بهم واتزلوهم مكرمين وارسلوا الى الدوق يخبرونه بقدمهم ريثما ينفضون عن ابدانهم اتعاب السفر الذي استمر ثلاثة وخمسين يوماً ، وبث القرائدوق يقول للامير ان يوافيه الى بيذا احدى ثمر توسكانا ، فيثا هو يتأهب للسفر اذا مركب مقبل من العرض فتطالت اليه الاعناق وتابقت الامل . فلما اقترب

من البرّ عرفه اللبنانيون فكبروا وهملوا ورقصت قلوبهم فرحاً . ثم رما المركب في الميناء وعليه الحاج كيوان وسائر من كان معه إلا هيفاً ، فأربدت الوجوه وتفرّس الأمير في وجه كيوان فاذا كآبة ووجوم ، فانتقبض فؤاده وقال : ما وراك ؟ قال : لا يلقى الأمير ، قال وهيفاً ؟ فتجد كيوان وقال : سألته يا مولاي ! قال : سألته ولا أراها ؟ قال سألها ان شاء الله .

ثم جلسوا واخذ كيوان في الحديث قال : لا تسأل يا اميري عما قاسيناه ليلة العاصفة من شدة الحرف والكرب والبلاء . كان مركبتنا على ايدي الامواج كالأكرة على ايدي اللاعبين تتقاذفه بسرعة وتهاداه . ذابت قلوبنا فرحاً . وزهقت نفوسنا يأساً وتقطعت اوصالنا تعباً . وزاد في بلائنا ما وقع في قلب الاميرة هيفاً . اشتاقاً عليك من طغيان الامواج وتطرس الرياح ، لقد نسيت نفسها والخطر المحقق بيا وبنا ، وقامت بكسي وتلطم وجهها وتصيح : ويلى ! لا عشت ساعة ولا رأيت عيناى نوراً ، ان كان الموت قد نشب بين لاجله اريد الحياة . فكنا تارة نغريها ونفتح قلبها للرجاء ، وطوراً نطلب على أنفسنا فنبكي لكانها . ظلمت الريح تقذف مركبتنا في كل وجه حتى بدت تبشير الفجر فهدأ الاعصار ووقف زحف المرج ونظرناه فاذا نحن تجاه طرابلس على مسافة غلوة من ضيائها . قدعرتنا وسقنا السفينة غرباً يميل الى الشمال . فلما ابتعدنا عن الشتر اذا سفينتان اقبلتا علينا من جهتين متقابلتين ، فصاح ربان مركبتنا : القرصان ! القرصان ! لصوص البحر ! فانتصب شعر رؤوسنا فرحاً وامتنعت وجوه الجوارى ومنهن من أغمى عليها من الرعب ، وبدرت الى السلاح وكذلك الربان واعوانه وجماعة المالك . فخاطبتنا كبير اللصوص قال : ايها الرجال لا ينفعكم القتال انكم دوننا عدداً فافتدوا انفسكم واحقنوا الدماء . قلت ما تبتغون ؟ قال : الامير فخر الدين . قلت ليس معنا . قال : لا نطلقكم حتى تسلموه الينا ، قلت انه على غير هذا المركب ، كانت مراكبنا ثلاثة فرقت بينها العاصفة سحابة الليل فتراوى مركبان ولا نعلم ما صنعت بهما الاقدار . - قال : إذن نأخذ هؤلاء النساء وكل المتاع . - قلت : خذوا نصف المتاع واكفونا شر القتال . - قال : لنا كل ما في المركب والنساء قبل المتاع . - قلت : عدوا عن هذا المطلب الوعر ، لا يسر من مثلهن النجوم .

فونب اقدمهم الى سفيتنا ففرزت مسيقي في صدره الى القلب فانقلب على الماء .  
يصفها بدمه . فيجسروا هجمة واحدة بالسيوف والمدى والمراوي والدبابير  
فوقنا عليهم بنشل سلاحهم بصدور لا يدخلها الرعب ، وبعد ساعة اسفرت  
المركة عن مقتل مملوكين من رجاك وستة من رجالهم ، اما عدد الجرحى وكثير  
من الفريقين ، وما رضينا بوقف القتال الا بعد ان اصبحت بجرح في ذراعي يبلغ  
وقد افشى الحوف بالنساء الى الاشراف على الموت ، فرأيت من الحرق ان نقاتل  
عنهن حتى نفنى فيؤخذن من بعدنا غنيسة باردة ، فلم رأينا على التسليم وهو اخف  
البلاتين . فدخل سركنا ستة من رجال العدو وقفسوا في النساء فلم يتصدوا  
لهن وشغلونا بالحديث اذ كان بعضنا يعصب جراح البعض ونتشاور في قتلنا  
الذين سقطا مشرفين في دفاعها المجيد أين ندفنهما . في هذا الاثناء انقض  
رجلان منهم على الاميرة هيفاء . انقضاض الصقر على الحمامة وقفرا بها الى سفيتهم  
القريبة فصرخت صرخة عظيمة وجرت السفينة بسرعة لموازاة الريح وعالجنا اللطاق  
بهم فتصدت لنا السفينة الاخرى وفيها عشرون رجلاً لم نجد فائدة باستئناف  
القتال معهم لان السفينة التي عليها الاميرة قد قواوت فتولت اليهم وضعت  
وقلت لهم فدية الاميرة كل من معي وكل ما معي فقالوا ايأها نريد . وبعد  
تهديد واخذ ورد اقتحمونا واحتلوا سركنا بغير قتال رافة منا بضعف النساء .  
فاستاقونا الى قرب مالطة حيث خلوا سيلنا ولم يسلبونا شيئاً . فأتيت الجزيرة  
وروقت بجاكهما جوان ما يسترو واخبرته بما كان من امرنا فطيب نفسي واترنا في  
قصر وبالغ في اكرامنا وارسل سفناً تزود البحر تمثلاً للقرحان فلم تقف على أثر .  
ثم ودعاه شاكركين وفي قلوبنا احر من النار . وما دلنا نخبر في الباب  
حتى انتهينا الى هنا . كان الحلاج كيوان يقص الحداث على الامير بصوت  
خافت وجميل متقطعة ونظير مخفوض وقلب كبير شأن الحزين الحجلان لا  
لا نابه من خسارة في هذه المعركة . فقد كان بطلاً مغواراً ضاحكاً من  
الروائع العنيفة وجابه الموت مرات كثيرة وشرى وباع وابحاً وخاسراً فلا  
أبطره نصر ولا اخشع انكسار . الا انه شق عليه ان تتالى التكبكات على  
اميره المحبوب فلان حديد قلبه في نار هذا الاعتبار . وكان قلب فخر الدين  
يتغطر حزناً الا انه بالغ في كتم حزنه حفاظاً على هيئته وتخفيفاً من كرب

مدبره . فوق علي عنقه وقبله وقال : طيب نفساً يا ابي : بذلت وسعك وزيادة فما انت بلوم . كل ما كتب لامرئ فلاقه .

ثم انه توجه بجاشيته الى بيضا فاحسن الزراندوق لقاءه واكرم مشواه وانتزله في قصر عظيم بديع الزينة نفيس الياش توفرت فيه الخدم وسائر اسباب الراحة والرخاء . واوز الى اعيان البلاد فاقبلوا يسدون عليه .

ولما انتهت ايام الوفادة للتسليم عليه اتته دعوة من ملك نابولي فلبي وصحبه الفراندوق فاحتفى به الملك اي احتفاء وجعل اشراف ايطاليا يتسابقون الى دعوته ويقدمون الخفلات الشائقة لاكماله . ويبالغون في اجلاله ويحلمون انفس الهدايا اليه . وكان الجميع مُعجبين بذكائه وحكمته ووقاره وما أفرغ عليه من كرم الأخلاق وجميل الخلال . وما عثم ان اتصل خبجه بفيليب الثالث ملك اسبانيا ولويس الثالث عشر ملك فرنسا فارفدا اليه يستقدمانه لزيارتهما وقد عرف انه اذا اتى ايطاليا لترض سياسي . فاستغنى من زيارة الثاني لما بين ملوك فرنسا وبين السلاطين العثمانيين من صلات المودة بما لا يؤمل معه نجاح التحالف عليهم . ووعده الاول بان يزوره بعد النجاح من توطئات لا بد منها قبل زيارته<sup>(١)</sup> .

(١) لما اجبر الامير من ميناء صيدا لم يدرك احد باشا الحافظ بسفره . فسار بخمسين الفا من عسكره ما عدا الرماحة العرب الى جسر المردلة قرب حصن ارنون ، فمكروا في تلك البقعة واستراحوا ليلة من تعب الطريق ، ولما واجهوا الصباح زحفوا على الحصن وصدوه صدمات عنيفة واعادوا الكرة عدة ايام فاستع عليهم . وكانوا كساحط صخرة يوماً ليونها . فحكصوا على اعناقهم خاسرين ، وتحولوا الى برج الظاهرية الذي يقابله فاستولى عليه بمسيرة كبيرة ، ثم اندثروا الى حصن ارنون فحاصروه ستين يوماً وهم يعطرونه وابلاً من قنابل المدافع ودصاص البنادق ليلاً ونهاراً ، استبسل من في القامة وقاظروا قتال الاضال ، وكان لديهم مدفع من اعظم المدافع في ذلك العصر قد تقوله من صيدا فظل يقذف على العدو تارةً وموتاً حتى انفجر ، فأرسل المحاصرون كرد حيدر الى دير القس يستجدون الامير يونس فمالج ان يقدم بجند من السكبان فاستمروا الا خمسين منهم مشوا بقيادة جبلي حين بلوكباشي غزير ، وكان بعض سكبان دير القس يكتبون الحافظ فاعلموه بالنجدة فكمن لما وقانتك متباعدة فتجت ، ودخل القلعة اربعة وثلاثون من رجالها . وارسل الحافظ يقول لمن في الحصن : ملأ يواجبني فخر الدين مؤثماً فاقرد على املاكه . قالوا انه ذهب الى بلاد الافرنج ونحن لا نسلم وفي انوفنا قس . فارسل الحافظ الى الشوف يجمع شعاكر وينتق على اهل وبرهتهم بالمسائر . وتوجه بعض الصفيدين الى غريفة ليحرقوها

## بعثة الى لبنان

كانت تركيا في ذلك العهد دولة قوية مرهوبة البأس ينظر اليها ملوك اوربة بعين الحذر ، ولا يتخون لها الاخذ الشوكة وقلوص السلطة ، ويسمون الى هذا الغرض بوجوه مختلفة كالتحريض والمعاونة على تقطيع اطرافها وايقاد نار الثورة في اقاليمها ، وكان الباباوات غير راضين عن سياستها في رعاياها لاغفالها اسر المسيحيين وتركهم اهدافاً لاهواء عائلها الظالمين واعتداء مواطنيهم غير المسيحيين ولا سيما في الشرق . رأى الامير ان ذلك من المهلات الى مخالفة تضمن له الظفر على الدولة وجمل لبنان امانة مستقلة عنها يتولاها هو وذريته مع ما بنفسه من الطموح الى الولايات السورية قالى العاصمة التركية نفسها . فلم يطل به المقام عند دوق توسكانا حتى اوقفه على غرضه فالتقى عنده اذنًا واعية غير انه اذ لم يكن مستوثقاً من التفاف اللبنانيين على اختلاف فلولهم حول الامير ولا عالماً اية قوة تشد ازره في لبنان تخشى ان يعقد معه مخالفة تنتهي بالفشل تجاه قوات تركيا الماثلة . ففاوضه في ارسال بعثة الى لبنان تدرس الحال فان كانت على ما يرلم حاله هو وغيره والا اشار عليه بالاقامة عنده الى ان تتغير اسأل ، فاجابه الامير الى ذلك .

فصدى لهم الشوفيون فارتدوا عنها مستعينين . واستحوذ الملل على المحاصرين فاشادوا على الامير يونس ان يرسل والده المنة التي نسب لثأبته بالكثرة الى الخافض لتوسطه . فوافقه بثلاثين من شيوخ العقل البدوي وبيع ذهب واربعه جيات ، فاكرم شراها . فقالت لماذا نغفلنا اندولة ونحن ما خرجنا عنها ولا فتحنا بلدًا لم نقرنا عليه ولا قصرنا في تأدية مال مفروض . ونفذته منه الف قرش للسلطان وخمسين الف قرش له وكسبت له صكًا بقبضة ثلاثمائة الف قرش تنفذه ايادها في ما بعد عن تربطه ان لا ينكل بالشوف وان رفع الحصار عن القلاع ويقف الحرب . فرضي واسترحب شها بالمال وماذعان المتعين له فقبضت ، ولما رأى الامير يونس خيانة سكبانه وتخلّف حنفاه استحوذ عليه البأس فغلبى دبر القسر منتفلا الى صناعين ثم الى نيجا . واختم السكبان ان حافظ ، فخلا الجور لآل سيف ، فدخل حين باشا سيف اندير واحرق يودًا ولولا مصطفى اغا الاسود رئيس حجاب المحافظ لاحرق دار المشيخ ( قال بعضهم انه احرقها وهذا صحيح ) ثم فرقت الساكر ، وعاد الامير يونس ورجاله الى دبر القسر وارتمل المحافظ بالسب زهيمته ، وصادر الشاهيين والخرقوشيين . اما الامير علي بن فخر الدين فكان ابيه قد ارسله الى البرية مع الامير حمدان والشيخ

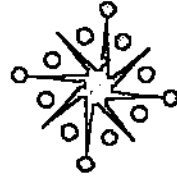
وبعد شهرين كان مركب طلياني يقل البعثة الى لبنان مؤلفة من عدد من الضباط والمهندسين الفلورنزيين ومن ذوي الخبرة بالحروب . وارسل الامير معهم اثنين من رجاله ابن العيسوق ومحمدًا بن علي كاورور وهما من اتباعه ومن اهل الحكمة والرفاء . حملهم رسائل الى اخيه يونس وذوي قرياه واعيان البلاد يطلعونهم بها على ما لقيه في ايطاليا وعلى غرض البعثة وبوصيهم بان يمكنوها من اغراضها على ما تشاء . وان يحفظوا ما بأيديهم من الحصون ويفتحوا عين اليقظة ويحكموا التوائق بينهم والاتحاد .

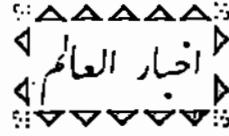
تزلت البعثة الى ارض لبنان في قرب صيدا من الجنوب ، وتوجه رجالها الى دير القمر فتلقاهم الامير يونس وامه الست نسب بمتى الاكرام والاحلال وقرأ يونس رسائل اخيه التي له والاعيان ، ثم ختم الرسائل وارسالها الى اصحابها واتته الاجوبة من الجميع فارقف عليها رجال البعثة وكلها ناطقة باخلاص اهل البلاد للامير مع الانباء بتفصيل كل ما هنالك من تأليب معنوي ومادي ، ولم يخرج عن ذلك الا جواب ابن سيفا قال فيه انه لا يتدر على موالة فخر الدين ما دام سخط الدولة متوجها اليه ، فطابت انفس اعضاء البعثة بما علوه من اتحاد كلمة اللبنانيين وجالوا في اقاليم لبنان بحثا عما فيه من قوات وحصول مال ووسائل دفع ، ودونوا خلاصة ما عاينوه وسمروه وتأهبوا للدود الى ايطاليا ، فالتقى الامير يونس الاجوبة الى رسولي اخيه فاسفروا مع البعثة وصحبهم الشيخ خاطر ابو نادر الحارثي في نفر من ذويه ويزبك ابن العفيف احد اعيان الشرف . فلما واجهوا الامير فخر الدين ودوق توسكانا واطلع هذان على ما حملاه من اجوبة وانباء عظمت رجاء الامير وحصلت له ثقة الدوق اذ علم ان في لبنان

عمر وعربه على ما رأيت ، فتركوا على قرية صخرة عجولون ينتظرون قدوم فخر الدين ، فلما علموا ان عسكر الشام اخذوا عليه الطريق جعلوا يقتتلون في تلك الضواحي ، وحدثت مواقع بينه وبين بعض الدردية وغيرهم ، وكانت موقعة ضارية بينهم وبين الامير فياض امير اهل حيار ، وكان النصر في جميع هذه المواقع لسدرو وعلي ، وما زال عرو يتقدم مقاتلا كل من تصدى له حتى اوصل حيا الى باياس سالما ، فلتفيله حسين اليازجي والسكبان واعبروه بارتمال ابيه . ثم وصل مصطفى كتنخدا فخر الدين من الاسفانة وقد سرح على يد خليل باشا الرمان فاخبر الامير عليا بما جرى له في الاسفانة ، فانغم وكذب وبات يتوقع خبر وصول ابيه الى بلاد الافرنج ( الخالدي وبجدة الآثار بتصرف ) .

قوة واتحاداً فحالفه وجعل يسمى معه لحالفة البابا وملك اسبانيا .  
ثم ان فخر الدين جيز مالا كثيراً وهدايا نفيسة وارسلها الى لبنان مع  
الشيخ يزبك بن المغيرة تمكيناً لصدقة الاعيان وتلافياً لما قد يفاجىء من  
طوارئ. الحدثنان . فاستعان الامير يونس بذلك المال على اتمام التأهب والتحصين  
ووزع الهدايا على الزعماء فبهرت عيونهم وزادتهم تعلقاً بالامير وتأهباً لبذل الحياة  
تحت رايته في سبيل المصلحة الوطنية والدود عن الاستقلال .

( لما صلة )





## اخبار دينية

المؤتمر الاوغارسي في ريو دي جانيرو : وجه رئيس جمهورية البرازيل الى المجلس الوطني رسالة يطالب فيها اليه ان يخصص مبلغ اربعة عشر مليون كيروسيروس للنفقات الضرورية للقيام باعداد المؤتمر القرباني الدولي السادس والثلاثين الذي سيجتمع به العالم الكاثوليكي في العاصمة البرازيلية في حزيران من سنة ١٩٥٤  
لا يخفى ان البرازيل هي اليوم ام الدول الكاثوليكية

حكم الديانة المسيحية في ستالين : ليس مسيحي الا وينبذ المبادئ الشيوعية لموقفها المداني وعملها الهدام اذ كل دين وكل تعليم روحى . ليس مسيحي الا ويحكم حكماً مادياً على الفلسفة التاريخية التي شئ عليها ستالين لتتوصل الى ذلك الاسر المسيحية التي عليها كان مبنياً كيان المجتمع الانساني في روسيا والبلاد المجاورة لها التي اخضعها بالقوة للشيوعية وفرض عليها سلطته فرضاً . فقد اعتمد فيها تذرّع به . ليلوغ غايته على مبادئ واتخذ وسائل لا يقبل بها لا الدين ولا العقل السليم وتشكرها المروءة والانصاف معا كانت المنافع المادية السوفية المشترحة . يكفينا ان نذكر هنا : مراكز الاعمال الاجبارية التأديبية حيث شئت الالوف يذنون تحت اثمان العناء وسوء المعاملة حيث نفي للاممال الشاقة الاف من الاسرى لا يراون الى اليوم مبدين ظلماً عن اوطانهم . من لا يذكر ايضاً « التطهيرات » الدامة ومآسي الدعوي التي هي اشبه بمشاهد غزبية قاصمة . كذلك الشبكة الجاسوسية التي تفرع في جانبها ذوي الافكار الحرة والارواح المستقلة ولا : ناص لمن رمن نفسه فيها . . . بنى ستالين على اقتاض المجتمع الانساني المسيحي بناء « المادية الكمية » بناء على انكار الله والعبث بحرية الفرد . لا يتدر المسيحي ان لا يطالب نادياً التي يجاهر ويتنخر بانه الله بها بحرية الحياة والنسوة والانتشار والعمل خيرة البشرية والتقدم الخفي .

يموت ستالين مات فياض الشيوعية اللادينية ومفكرها الاعظم مد ان فرض بشدة لا يقوم امامه قوة عنائده واوامره : يموت مات ممثل عراك المادة والروح : آلهة الارض نفسها تموت .

تعداد المسيحيين في مصر والسودان : يفوق عدد الاغلبية الاسلامية في مصر سبعة عشر مليوناً . ويبلغ عدد المسيحيين مليونين وثلاثمائة وسبعة عشر الفاً ومئة : منهم مليونان من القبط الارثوذكس وتسعون الفاً من البروتستانت والباقيون كاثوليكيون وهذه قائمة عديم حسب طوائفهم المختلفة :

- الارمن ٧٠٠٠ - الكلدان ١٦٠٠ - القبط ٦٣٠٠٠ - اروم الملكيون ٢٥٠٠٠ - اللاتين ١١٦٠٠٠ - المارانة ١١٠٠٠ - السريان ٢٥٠٠

٥

## اخبار عالمية

الاتحاد السوفياتي : توفي الجنرال ستالين يوم الخميس ٥ اذار نحو الساعة العاشرة مساءً لكن راديو موسكو لم يذيع خبر وفاته الا يوم الجمعة ٦ اذار الساعة الثانية بعد منتصف الليل . مات ستالين كما يموت كل انسان بعد ان عبته البشرية في حياته عبادتها لاله . وقد عين جورجى مالينكوف خلفاً له في رئاسة الحكومة السوفياتية . ومالينكوف اورالي الاصل عمره احدى وخمسون سنة . وكان قبل موت ستالين رئيس الحزب الشيوعي السوفياتي لكنه لم يلبث الا اياماً قليلة بعد تسلمه الحكم حتى تخلى عن منصبه في الحزب الشيوعي - عُيّن مالينكوف حالاً بعد تسلمه ازمة حكم بلاده بإحداث شيء من الطمأنينة والثقة في الملائق الدولية خصوصاً مع الولايات المتحدة مما حمل الناس على التنازل عن أسباب هذا الموقف الجديد من الحكومة السوفياتية : ان تكون هذه السياسة دليلاً صادقاً عن رغبة إعادة السلم بين الدول ام هي وليدة ضرورة وقتية وعلامة وجود مشاكل وصعوبات داخلية اضطرت الى طلب مهلة من الاطمئنان والسكينة الى ان تعود المياه الى مجاريها في البلاد . ان خلافة ستالين في رئاسة روسيا السوفياتية والحزب الشيوعي امر عسير وقد تكون سبباً لمشاكل داخلية ومضادات عنيفة بين المدّعين بها الذين خذلهم الحظ فقد زعم بعض المخبرين انه قد حدث مناورات شخصية هناك وانفاق خصوصي بين يرييا ومولوتوف لاسقاط مالينكوف او على الاقل لاحد من سلطته في رئاسة حكومته اما الغرب فقد اكتفى الى الان بالانتظار متريماً متعذراً لا يستند الى الاقوال يطالب بالاعمال ويهاجر بدم اطمئنانه طالما لا تثبت حكومة موسكو الجديدة حسن نواياها وصدق تصريحاتها بالانتمال .

تشيكوسلوفاكيا : عشرة ايام فقط بعد موت ستالين مات كيهان غونولد رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية وكان قد حضر حفلة دفن ولاد ستالين وهو بدعة نامة . تحدثت بعض الجرائد عما يكون سبب موته المفاجيء . اعلن راديو براغ خبر وفاته بعد ظهر السبت الرابع عشر من اذار . وقيل انه مات من نفس المرض الذي ادى بحياة ستالين .

ان غونولد هو الرئيس الثالث للدولة التشيكوسلوفاكية منذ ان وضع مزاريك اسها سنة ١٩١٨ بعد الحرب الكبرى الاولى . مات بينما كانت لوندوة تحتفي بزيارة تبتو لحكومتها وتقبله استقبالا شائفاً وهو ايضاً من رفاق غونولد وتلاميذ ستالين . في هذه المناسبة لا بد من ان نلاحظ بان الحكومة اليوغسلافية التي تمررت من النير السوفياتي لا تزال متسكة تمسكاً شديداً بالمادية اللادينية تضطهد الكنيسة اضطهاداً عنيفاً .

مصر : يظهر جلياً من ثقة الشعب المصري بحكومة اللواء نجيب الـ كرية لا تزال تنمو يوماً بعد يوم وليس هناك من يشك من روحه الوطنية وتراحمه وهذا يفر له الاجنبي نفسه . اعترفت مصر الاتفاق الذي عقده اللواء نجيب مع الحكومة الانكليزية بخصوص السودان نجاحاً . هراً له وانتصاراً . نول لها فان هذا الاتفاق قد حل مشكلة مزمنة . مفدة لم توصول الحكومات السابقة الى ايجاد حل لها . وجاء هذا الاتفاق نتيجة جهود اللواء في توحيد الاحزاب السودانية الاربعة في مطالبيها وكانت قبل ذلك متفكة عن بعضها . نعم ان الحل هذا ليس خائفاً فانه وقتي : ثلاث سنوات يعود فيها الشعب السوداني على الحكم الذاتي ثم يدعى بعدها الى الاستفتاء لاختيار الحكم الذي يفضله اعني الاستقلال التام او الانضمام الى مصر

اما مشكلة جلاء الانكليز من قناة السويس فلم يُبَت فيها بعد . كان إمكان التوصل الى حلها يظهر الى الاسر القريب امراً صعباً صعب المثال لا بدد من المسؤولين في مصر من التمسك بمطالبهم والتبشير عنها بلهجة لا تترك لمفاوضات اتفاق ثنائي محالاً فقد اعلنوا امام الملا وبيارات شديدة باضم يريدون ما يريدونه دون التفتد باي شرط كن . لكن قد غلب ذلك هذه الايام الاخيرة تصريحات مصرية جديدة لطف الموقف وفتحت ابواباً للتسامح والتفاوض واعادت الثقة المتبادلة فاجابت عليها الحكومة الانكليزية بقبول الدخول حالاً في محادثات تمديدية تفبها المفاوضات الرسمية . وقد يكون الاتفاق بين الحكومتين قد تمّ سدياً فيما يخص جوهر المسألة فلم يثبت بعد الا البحث عن كيفية اقامه بما يرضي الطرفين .

ايران : قامت بين مصادق والشاه ولا تزال قائمة مصادة عنيفة اقتست لها البلاد شطرين لكل من الحزبين حزبه مما ادى الى حوادث دامية في تظاهرات عديدة صاخبة . يريد مصادق ان يتفرض من سلطة الشاه الدستورية فيضحي ملكاً يملك ولا يملك . ويماضيه في ذلك الجبهة الوطنية وطبقة الشعب الودع والموظفون والاطباط الجامعية اما الشاه فيستند هو ايضاً الى حزب قوي يتألف من حاشية ومن المكريين والملاكين والوطنيين التنايديين الذين لا يرضون بدم البناء الماضي وبالمس بتقاليد البلاد .

ويظهر المجلس بين الحزبين تنافساً على نفسه متخوفاً وفيه من المجاهدين بممارسة سياسة مصادق ثمانية نواب كما ان غيرهم يتبعون مصادق بثبات والباقيون يترددون في امرهم يملون حيث تقبل القوة . . وقد حاول مصادق مراراً ان يبيع المجلس ليفرض عليه قبول القانون الذي اعده لتحديد سلطة الشاه لكنه لم يفلح لان ثيب النواب الثانية المعارضين آل كل مرة الى عدم توصول المجتسمين الى النصاب الشرعي لتقرير القانون الجديد

اما حزب توده التي يمثل الفكرة الشيوعية في ايران فانه واقف بالمرصاد يريد الاستفادة من هذه الحوادث بدل في اذكاء نار الاحتقاد بين الحزبين الاخرين ويدفعها الى التوفى والتظاهرات بحيث يثبت وجوده وقوته فيزيد قوته في الشعب .

الماهدة البلقانية : في ٢٣ اذار وافق المجلس الوطني في بلنراد وانكرة وايتنا دون جدال على مساعدة الصداقة التي كان قد سبق التوقيع عليها في انكرة في الايام الاخيرة

من نشاط . وجمده السنة على الجنرال كريبك في المجلس البوغسلاي ان التوى الدفاعية في البلاد الثلاثة .مقدمة قناروح بين ستم وسبعين فريقاً وهي مجهزة بأفضل جهاز حربي . تبقى مشكلة تريتة عتقاً حوالياً لدخول ايتاليا في هذه الماهدة .

اسرائيل : بلغ عدد المبحرين الى اسرائيل في مدة سنة ١٩٥٣ ثلاثة وعشرين الفا وثلاثئة وسبعين . فصار مجموع عدد مبحرين من تأسيس اسرائيل (ايار ١٩٤٨) سبعة وسبعة الاف وخمسة واربعين شخصاً فيه ضمة الاف من المسيحيين ادعوا بانهم يريدون يسكنهم الحرب من البلاد الشيوعية .

عدد سكان الارض : بموجب احصاء منظمة الصحة العالمية قد بلغ عدد سكان الارض سنة ١٩٤٩ مليارين وثلاثئة وتسمة وتسعين مليوناً وكان عددهم عشر ستم قبل هذا التاريخ اي سنة ١٩٣٩ نحو مليارين فقط فتكون الزيادة في عشر ستم اربعة ستم مليون . اكثر من نصف سكان الارض هم في اسيا اي مليار وثمان وثلاثة وخمسون مليوناً منهم في الصين اربعة ستم وثلاثئة وستون مليوناً وفي الهند ثلاثئة وسبعة وخمسون مليوناً . .

## الحركة الفكرية في العراق ، التاريخ وما اليه

بنلم الاب فردبنان توتل اليسوعي

في الصفحة الوجيزة التي خص بها بروكلمان تاريخ الادب العربي العصري في العراق (الملحق ٣ ص ٤٨٠) قال ان المتوجات الفكرية فيها لم تبلغ المستوى التي باغت اليه في سورية ولبنان بالرغم عن تمتها بالبيئة الصالحة للانتاج في ظل الاستقلال والسيادة وتصدى لشكوى بعضهم لعدم وجود فهارس رسمية للطبوعات العراقية ولقلة المطابع العربية في تلك البلاد واذا ينار على استقصاء احوال الكتب ما استطاع السيل اليها بنظرات عامة الجئ الى الاقتطاب في الكلام عن هذه الناحية<sup>(١)</sup>.

وان طائفة من المطبوعات العراقية الحديثة اهديت الى « المشرق » فرائنا ان نصفها في مقال واحد يربط بين مواضعها ويهد السيل الى الاطلاع على حركة التأليف والتفكير في القطر الشقيق مع الاعراب عن امنيتنا بتربي فن الطباعة فيه لان بعض الكتب التي جاءتنا تحتاج الى الكثير من العناية لتظهر بالحلة الجميلة اللانعة بالمؤلفين ومؤلفاتهم فلا تشوبها الاغلاط ولا تنكشف تصاريها في ظيورها على ورق خسيس الشن خشن حقير .

تلك المطبوعات عددها ١٨ ومواضيعها في التاريخ وما اليه فضلاً عن كتاب في الشعر الزبجي ولها محلها في الادب العصري وقد نبئت في تربة صالحة للتفكير والتأليف والنشر في الظروف الطارئة على البلاد في تدرجتها من العهد العثماني فالانتداب الانكليزي الى الاستقلال المطلق وقد اشرقت عليها شمس الحرية فيكشف الكعبة عن الوثائق والآثار فيمشرنها للزور ولا خشية عليهم من بطش الحكام فيعربون عن افكارهم بجرأة وانصاف للحقيقة قدسوغ مطالعة ما

(1) Brockelmann : *Geschichte der Arabischen Literatur*, Supplement band III, 480.

يكبون وتؤدي مادة وافرة للتقد وللبيان في عالم الفكر والتفكر والعمران وقد وصفناها اخذاً بأوليات المعصور الى يومنا .

### وادي الرافدين مهد الحضارة

دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ

طبع بدار الكتاب العربي بصرى ٨٨ قطع ٨ كبير ورق صفي (٢٠٠ فلس) للسرا ليو نارد ودلي.

تعريب احمد عبد الباقي

بين سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٢ تشكلت بعثة اثرية مشتركة بين المتحف البريطاني وجامعة ينفانغية للتفتيش في اطلال « اور » المدينة السومرية في جنوب العراق ترأسها السرا ودلي وكان من اعضائها الاب بروس Barrows اليسوعي فكشفت على معلومات ثينة عن حياة سكان وادي الرافدين الاسفل ( سهل شمار ) ووضع عليها ودلي هذه الرسالة واقبل على تعريبها بمير التفتيش بوزارة المعارف السيد احمد عبد الباقي لما رأى فيها من الفوائد لتعريف قراء العربية بتكوين وادي الرافدين وسكانه القدماء باستقرأ آثارها ومنها ما يعود الى الالف الثالث قبل المسيح فتشهد لحضارة تلك البلاد وتثبت اوضاعاً لا ريب في صحتها عن حياتها المدنية والدينية فتذكر حكومات المدن والكتابة السورية والخط السامري والمراسيم الدينية وطقوس دفن الموتى منها « كان يصحب جثة الملك السومري في تلك الايام الى قبره جميع افراد حاشيته من الزوجات والضيابط والجنود والخدم والموسيقين ويتزلون في الحفرة التي اعدت لتكون قبر الملك . ثم يتناولون جرعة من السم بعد مراسيم معينة فيسوتون ويوارون التراب » (ص ٢٤ و ٢٥) . وهناك وصف حياة سكان البلاد اشبه منها بحياة سكان وادي الرافدين حالاً في طراز البيوت والادوات البيتية واللباس - ولم تكن الزوجة لتعتبر متاعاً بيتياً وكان الاساس في الزواج الاقتصار على زوجة واحدة (ص ٨٣) وتعتبر الزوجة سيدة بيتها .

وفي بدء الكتاب مقدمة للدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار القديمة العام ايد فيها كلام ودلي « ان التقدم في الناحية الروحية في تلك البلاد كان على ايدي غرباء عنها هم الساميون الذين تمت على ابيديهم القوانين وظهر بينهم الانبياء ».

وفي هذه المناسبة نذكر براهم ابا الشعب المبراني والعربي الذي قيل عنه في سفر التكوين ( ٧٤١٥ ) انه خرج من « اور الكلدانيين ».

مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ.

بتقديم العلامة محمد رضا الشيباني وزير معارف العراق الخ.

النم الاول وهو المباحث المنسوبة في مجلة لغة العرب من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٢٧ - ٣١

ص ٢١٢ قطع ٨ - طبع شركة التجارة والعبادة المحدودة

الكرخ - بغداد - ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م غته ٧٥٠ فلساً

تأليف يعقوب سركييس

هو كتاب تاريخ وخطط وآثار وبحث في العمران وضعه المؤلف مستخرجاً مواد من كتب الرواة الافرنج و اخبار رحلاتهم الى العراق ومن مجموعة الكتب التي اقتناها والروايات المخطوطة القديمة والحديثة التي اكتشفها وقد علق عليها الفرائد وعمل فيها رويته الشخصية فجاءت لذينة مفيدة مهلاً مطالعتها بالفهارس الواسعة التي ذيل بها كتابه فاستحق الثناء .

خزائن الكتب القديمة في العراق منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

مطبوعة المعارف - بغداد ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م قطع ٨ ص ٢٤٦ غته ٥٠٠ فلس

تأليف كوركيس عواد

من فهارس الكتاب الوافرة المواد في اعلام الناس والاقوام والملل والامكنة ومن لائحة المراجع العربية والافرنجية بقدر القارى جهود المؤلف في جمعه ما جمعه على خزائن الكتب ويبتدي القارى بتلك الفهارس الى تحصيل الآتي الفائدة في هذا البحر الواسع وفيه ما يفيد المثقفين عامة وامناء المكاتب خاصة . مفيد صاحبه الى بحته في كلام طريف عن الوراقة والوراقين وعن النسخ وبيع ادوات الكتابة وتجليد الكتب وشراؤها ووقفها واتلافها بالخرق او القريق او الدفن وعن غسل الكتابة والكتب وراعى في سياقة اخبار الخزائن التسلسل الزمني اخذاً بالاقدم فالاقدم . واذا نشكر له سعيه نلفت النظر الى ما كتبه عن الديورة ومكاتبها وما لها من الفضل بنشر العلوم في البلاد العربية عامة والعراقية خاصة .

## اقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

تأليف هلال الصابني المتوفى سنة ١١٤٨ هـ ١٠٥٦ م.

مطبعة المعارف - بغداد ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م ٢٠٠ فليس

جمعتها وعلق عليها ميخائيل عواد

ان في عنوان الكتاب غنى عن وصفه وقد وفق ناشره الى الحصول على قطع ضائعة منه في خزنة « غوطا » فني بها ونشرها مع تعليقات وشروح عديدة وفهارس واسعة تستغرق ما يقارب خمس الكتاب وفيه ترجمة « الصابي » الذي اسلم « وحن اسلامه » بعد ان ظير له النبي مراراً بالرويا . وعرضت لائحة مؤلفات الصابي عسى ان تساعد عشاق الآثار العربية في التقيب على ما بقي منها مدفوناً في مخابئها فيبرزونها للنور .

نثني على همة السيد ميخائيل عواد ونتمنى لكل اديب في بلاد العراق ان يجاريه في البحث والنشر والتأليف ويتضافر هذه الجهود المحودة يبلغ السكان الى مستوى الثقافة العالية التي يطمح اليها عهد الاستقلال التام .

## المآصر في بلاد الروم والاسلام

مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٨ م ٩٢ قطع ٨ فليس ٢٠٠ فليس

تأليف ميخائيل عواد

هذا الكتاب يجمع مقالات ظهرت في مجلة المقتطف واعاد المؤلف طبعها وفيها البحث عن تاريخ الموانئ الاسلامية في الشرق الادنى وشالي افريقية وما الى ذلك من الفرائد عن المشرق وعن تجهيز الاسطول للقتال . مضى صاحبه بتأليفه مستقياً معنى المآصر في كتب اللغة والتاريخ والسياسة . وكانت المآصر او الموانئ النهرية والبحرية وفيها سلسلة ضخمة من الحديد تعترض الميناء . وتحول دون سير السفن ما لم يفتح لها صاحب القفل بفكه اللاسل . وقلما كتب في هذا الموضوع فنهى المؤلف على التحافنا به وهو شاهد على اخلاص نصارى العراق الى وطنهم واعتزازهم بجزءه .

## عشائر العراق الكردية

ص ٢٧٢ قطع ٤ - مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٦ هـ ١٩٤٢ م شه ٥٠٠ فلس

بقلم المحامي عباس الزراوي

هذا الكتاب يبحث في اصل العشائر الكردية وتفرعاتها ومواطن سكناها وما يتعلق بسائر احوالها التاريخية والحاضرة مع فهارس وخارطة ، خاض غماره المؤلف متكلاً عن الاسرة والقبيلة وعن الرعامة عند الاكراد ، مقابلاً بينهم وبين الاعراب فقال ان العشائر الكردية هي في الظل من اهل الارياك ولم يبق منها على البداوة الا القليل وهؤلاء في الحقيقة اقرب الى الحضارة (ص ٦) وقال (ص ١٨) « ان المنصر ( الكردي ) منذ دخل الاسلام ... نال نصيباً وافراً من الحضارة ... الامر الذي دعا ان يكون من اهم او كان نبضته ... وعلمائه وادباؤه ومؤرخيه ورجال سياسته ومدنه وصناعاته شاهد محسوس لما ناله من المتزلة السامية » على ان وقا. الموضوع حقه من الدرس يتطلب جهود الكثيرين وحسبنا مراجعة مادة « كرد » في الموسوعة الاسلامية لثرى عشرات الاسماء من العلماء الذين اشتغلوا في بحث تاريخ الاكراد واصولهم وفصلهم ودياناتهم وآدابهم فما ان يقرب مثالا بالترجمة المصرية ( التي لم تتجاوز الى يومنا حرف الدال على ما اظن ) حتى ينشط الكتبة للتعاون في العمل الذي فتح السبل اليه المحامي عباس الزراوي رئيس لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية .

## كتاب النبراس في تاريخ بني العباس

ص ٢٠٢ قطع ١٢ كبير - مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م

تأليف ابن دحية - صححه وعلق عليه المحامي عباس الزراوي

ابن دحية الكلبي ولد في الاندلس ٥٥٤ هـ ١١٥٠ م وتوفي في القاهرة ٥٦٣ هـ ١٢٣٥ م ، سافر الى بر العدة ودخل مراکش ثم ارتحل الى افريقية ومنها الى الديار المصرية وبلاد الشام والعراق وخراسان وكان عالماً بالتاريخ والحديث والنحو لكنه « كان كثير الرقيمة في الائمة » فانقصر عليه بعضهم بالاستحسان وبعضهم بالاستهجان كالكندي الذي ألف ضده كتاب « تنب اللحية من ابن دحية » . ولعل التحامل ناجم من انه ظاهري فخاف القوم على مكانتهم المذهبية

فتعصبوا عليه ( صري ) والظاهرية يقولون باستخراج الشرائع من القرآن والسنة بالحرف لا بالقياس .

نشر هذا الكتاب المحامي عباس الزاوي مقدما عليه بدرس ترجم فيه لابن دحية ومؤلقاته ووصف هذا التاريخ عن اصوله ومراجعته وذيلة بالتهارس وحشاه بالتعليقات المفيدة وقد وددنا لو أبرز مجلة مطبعية أليق من التي ظهر بها لان الاحرف المستعملة فيها قديمة مشوهة واليد العاملة لم تراعى حرمة المتن المراعاة المطلوبة فتقع الياء موضع الباء والجيم موضع الحاء ..

وموضوع الكتاب بين من عتوانه يشل أيام بني العباس من عهد السفاح الى عهد المستعصم ولعل شخصية المأمون تظهر فيه بأجلى المظاهر دون سائر الخلفاء . ومن توادر اخباره ان ملك الهند ارسل اليه الهدايا ومنها « فراش من جلد حية ... لا يتخوف من جلس عليه السل وان كان به سل وجلس عليه سبعة أيام برى » . ( ص ٥٢ ) . اما المتوكل ومعاملته المشينة بحق اهل الذمة فيذكرها ابن دحية ويزيد عليها ويقول انظر الى شرف هذا الخليقة واخذة بالسنة ( ص ٨١ ) فيدفع عنه بشدة تمسكه بالسنة التهمة التي اتهم بها خصومه بالخروج عن السنة .

### تاريخ البرامكة

ص ١٦٦ قطع ١٢ كبير - مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٦٨ م ١٣٦٢ هـ

تأليف عبدالله فياض

هي رسالة قدمها صاحبها لنيل شهادة المأذونية في الاجتماعيات من دار المعلمين العالية ببغداد وقد ألغها تحت اشراف الدكتور عبدالغزى الدوري استاذ التاريخ الاسلامي الذي بين للقراء في صفحات الكتاب الاولى اغراضه مثلاً على « تليذه » لما تكبدته من اتعاب في التأليف وفي مراجعة المصادر العديدة من تصانيف عربية واوربية . وان اخبار البرامكة معروفة فسادتهم وشقاؤهم يضرب بهما المثل . فاقبل السيد عبدالله فياض يستقصي اسبابها ويستفتي بها الكثيرين ممن حاولوا التحقيق في امرها من الاقدمين الى المحدثين . ولعل السبب

« النفائي » لنكتبهم انما هو . طبع الخليفة هارون الرشيد الذي ارتاح على البرامكة من هموم الدولة وانصرف الى ما يباه به عنها الى ان استفاق من غفلة وبطش بهم متسرعاً خشية ان يطغى نفوذهم عليه . وذلك لم يكن تادراً في بلاط السلاطين اذ يرى الوزير نفسه في ذروة النجاح وما ان تفسد الداسس الا ويسقط ويهلك بين ليلة وضحاها . ومن امثال ذلك اخبار احشوروش ملك فارس الذي شتى وزيره هامان (سفر استير ١٠: ٢٧) .

### رحلة المنشي البغدادي ... محمد الحسيني

طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م الثمن ٣٠٠ فلس

نقلها عن الفارسية عباس الغزاري الحامي

ان اخبار هذه الرحلة كتبها مؤلفها باللغة الايرانية سنة ١٢٣٧ هـ ١٨٢١ م في احوال الكرد والعراق وما فيها من قبائل في شهرزور وسنة وسقر وكركوك وآلتون كوبرى واربل وخاصة في ذكر بغداد وقراها ونواحيها ومنازلها الى كمنشاهان والسليمانية وكردستان وكان قد قضى ببغداد عدة سنين كاتباً في دار المقيم البريطاني كلايوس جس Rich فراقته في اسفاره الى البلاد المذكورة ودون ما دونه من الاخبار تحت اشرافه في صفحات وجيزة نشرها الحامي عباس الغزاري معلقاً عليها الفوائد والتعليقات وذيلها بفهارس كاملة زادت بتألفها وفيها النقر لمعرفة احوال الالوية ودرجة طاعتها لوالي بغداد داود باشا وسياسة الانكاز فيها واذ جاءت « موافقة لمراد الاجنبي » (ص ١٠١) فلا اقل من ان تبرز نوراً ينعكس على المواد التي يعالجها المزرخون في تعليقاتهم حركة التطور السياسي الذي ادى بالعراق من العهد العثماني الى عهد الانتداب البريطاني فالاستقلال المطلق .

زار المنشي البغدادي فيما زاره من الامكنة دير الرهبان هرمز بالقرب من الموصل فقال (ص ٨٥): دير هرمز بني في جبل والطريق اليه صعب المرور حجري فيه تعاريج ومنحنيات يمتد نحو ميلين في وعورته . وان الدير كبير جداً وكله من صخر منحوت ورهبان هرمز في وسط هذا الدير . وان النصارى في تلك

الانحما، يستقدون فيه اعتقاداً كبيراً وفي كل سنة يأتون اليه من الولايات. وفوق  
الدير في سفح الجبل ٤٩ غاراً . وان مطراناً واحداً وخمسين راهباً يقيمون دائماً  
في هذه الكهوف وهم من الاخيار الابرار جداً كل واحد منهم يأتي من بلد وقد  
تركوا الدنيا ولهم راحلة وخمسون بقرة . وزبدة هذه البقرات تقدم للواردين  
وهم لا يأكلون اللحم.

### آل فرعون

الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وتناخبها

مزوداً بالوثائق ووضوحاً بالخرائط والصور

الجزء الاول ص ٦٢٤ قطع ٨ كبير ، مطبعة النجاح - بغداد

تأليف فريق المزهري

«كنت مع الثورة من ابتدائها الى انتهائها... مع رجال الدين ومع زعماء  
المشايخ ومع جموع الثائمين» يهذين السطرين يتقدم المؤلف للقراء وبها تعرف  
اليه وصورته مع صور ملوك العراق واسرائها العظام تصدر الكتاب وتغرب  
بلاجمها العربية عن النار الملتبهة في صدر الرجل فتدفعه الى الكتابة عن حاسة  
تذكرنا بشعراء الجاهلية اذا ما ذكروا ايامهم وفاخروا بأعمالهم وهجروا أعداءهم .  
وهذا النفس الطويل يحتاج المؤلف من بدئه الى نهايته اجتياح الرياح للصعراء  
الشاسمة . واننا لنقف في هذا التيار ونجمع افكارنا لنأتي بملخصة الكلام عن  
اهم «الحقائق» المدونة للتاريخ .

ان بلاد العراق في غربي آسية على مجاري نهري دجلة والفرات . مساحتها  
بحدودها الحالية ٤٥٢٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها يقدرون اليوم ٤ ٩٩٠ ٠٠٠  
لقد وقعت تحت حكم الاتراك سنة ١٥٣٤ ، ولم تكن سيادتهم عليها مطلقة  
لبعد السلطة المركزية عنها ولتوزعة السواد الاعظم من سكانها العرب الغير  
المحضرين الذين يابون الطاعة لحكومات منظمة . وفي القرن التاسع عشر  
ميلادي ترادفت حملات باشاوات الاتراك الى العراق وقد ذكرهم صاحب  
الكتاب (ص ٢٢) : حرب فحيمب باشا في كربلا . سنة ١٢٥٨ ١٨٤٢م وحرب

سلم باشا في النجف ١٢٦٨ هـ ١٨٥١ م وحرب مدحت باشا في الدغارة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ م وحرب شبلي باشا في الشامية وابي صغير ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م وحرب يوسف باشا في القراف ١٢٩٦ هـ ١٨٧٨ م وغير ذلك من الوقائع العديدة الدالة على ان سلطة بني عثمان لم تستقر بالعراق واهاليها في البادية لا يرضون عن استقلالهم بديلاً. وفي طليعة الثائرين على الاتراك عشائر آل قتله وكان زعيمها فيهد آل نذير وقد « اخذ يفاوض العشائر المجاورة لمشاورة ويبين لهم بأن العرب لا يمكنهم الامتزاج مع الحكومة العثمانية ولا يمكنهم ان يعيشوا تحت سيطرتها ؛ ونحن عرب لا نتسكن بأي حال من الاحوال ان نقبل حكم « اروام » لا يفهمون لغتنا ولا نفهم لغتهم لذلك يجب ان تطردهم ونؤسس لنا حكومة عربية تحكمتنا » (ص ٢٨).

وارتجل الزعيم الاهازي « الهوسات » ومنها « كلش منطاعش منطاعش » ومنها « ابداً مطيها لا ارضيا » .

وقام بآخر ثورة ضد الاتراك حيدر آل فرعون ١٩١٠ - ١٩١٣ فقاوم الاتراك ما يقارب الاربعة اشهر فقاتلوه وعشائره بالدافع والرشاشات فاستسلم بالقوة وسلبت اراضيه .

ولكن طغيان الاتراك سوف يعود بالوبال عليهم فينكسرون في الحرب الكونية الاولى وينسحبون من العراق فيعود آل فرعون الى عزهم في ظل استقلال بلادهم المطلق .

### العراق قديماً وحديثاً

ص ٢٥٤ قطع ٨ - منبئة الرافان - صيدا

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

ان لصاحب الكتاب الذراع الطولى في التأليف عن العراق وتاريخه واحواله الاجتماعية والسياسية وكان له دور خطير في الحوادث التي جرت في تلك البلاد في الحرب الكونية الثانية فأقدم على نشر ما جمعه من مطالعاته وتعليقاته وخبرته الشخصية وخص هذا الكتاب ببحثين قيمين : الاول في موجز جغرافية العراق والثاني في مجل تاريخ العراق اخذاً بالكلام عن سكانه وجباله ومصادره وريته

وعن مدنه كبيرة او صغيرة معللاً اسماها عن اختلاف الروايات والاراء. معرقاً القراء. بأوضاعها الادارية والاقتصادية والاجتماعية بأسلوب شائق مختصر جدير بان يطالعها كل اديب يهتم شأن البلاد العراقية ولا سيما اساتذة المدارس وقد يصلح خاصةً لمكاتبها فيطالعها الطلاب ويعترفون من موارده شتى القوائد في الاستمداد الى فحوصهم فنفي عليه المؤلف وتسنى لكتابه الرواج الذي يستحقه.

### تاريخ العراق السياسي الحديث

الجزء الاول ص ٢٢٨ - الجزء الثاني ص ٢٢٠ - الجزء الثالث ص ٢٥٢  
ثمن الجزء الواحد ٥٥٠ فلس . قطع ٨ - مطبعة الرافدين ، صيدا ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

بقلم السيد عبد الرزاق الحسيني

هذا الكتاب اشبه منه بموسوعة للوثائق التي تؤدي مادة غزيرة وافرة لوضع تاريخ البلاد العراقية في مراحلها الاخيرة ، استند فيه صاحبه الى التقارير الرسمية والمقالات التي ظهرت في امهات الجرائد وفي المؤلفات القديمة والحديثة وعرضها سلسلة مع تعاقب الايام ، وما الكتاب المذكور سابقاً « العراق قديماً وحديثاً » الا خلاصة هذه المجلدات الثلاثة . ولا بد من انعام النظار فيها وتعميق القراء. باهم محتوياتها مع بعض التحفظ في بت الحكم بالحوادث وتعليقاتها وهذه لن يصح تدوينها الملبى الا بعد مرور الزمان لان الالام ييا يتطلب النظرات عن بعد لتقدير الاقوال والاعمال حتى قدرها دون ان ينال الحكم فيها لرم اللانين. اليك اولاً فقرات من الخطاب الذي افصح به المؤلف الجزء الاول وهو لصاحب الجلالة المالك فيصل الاول . جابه الحقيقة على ما فيها من مكدرات لا يجراً على التعبير عما توحيه من الافكار الا الملك الذي قبض على زمام الامر ، فان يكشف عن جرح فلكي يهتدي وايانا الى سبيل مآلته لا ليؤلمنا . فقال (ص ٥) :

« ان البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها اهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية ، ذلك هو الوحدة الفكرية والمالية والدينية فهي والحالة هذه مبعثرة القوى مقسمة على بعضها يحتاج ساستها الى ان يكونوا حكماً. مديرين وفي عين الوقت اقوياء مادة ومعنى غير مجلوبين لحيات او اغراض

شخصية او طائفية او متطرفة ، يدأومون على سياسة العدل والموازنة والقوة معاً ، على جانب كبير من الاحترام لتقاليد الاهالي ، لا ينتقدون الى تاثرات رجعية او الى افكار متطرفة تستوجب رد الفعل .

ان في العراق افكاراً ومنازع متباينة جداً وتنقسم الى اقسام : ١- الشبان المتجددون بما فيهم رجال الحكومة ، ٢- المتصبون ، ٣- السنة ، ٤- الشيعة ، ٥- الاكراد ، ٦- الاقليات غير المسلمة ، ٧- العشار ، ٨- الشيخ ، ٩- السواد الاعظم الجاهل المستند لقبول كل فكرة سيئة بدون مناقشة او محاكمة .

وان ما كتبه مؤسس المرش العراقي كتبه لا في القرون الماضية ولكن في عصرنا وفي زمان غير بعيد عنا في ١٥ آذار سنة ١٩٣٢ ولم يحضر على كلامه اكثر من ٢١ سنة . فهل يتاح للحكيم البصير ان يرميه بحجة قديم اكل الدهر عليه وشرب ؟ هل تكون البلاد في هذه الحقبات القليلة قطعت شوطاً يحمل لكلام الملك وقماً غير مناسب للحقيقة كما هي في يومنا ؟

لم يبت « الحسيني » الحكم في الامر فاحسن ، وترك للايام مؤونة الاصابة في تقدير مبلغ البلوغ الى الاهداف التي رمى اليها الملك وسار بكلامه مستعرضاً احوال العراق آخذاً بأولايات دوله من شومرية وعيلامية وبابلية وآشورية وكلدانية وماذية ويونانية وفرتية وسامانية وعربية وتركمانية وصفرية وعثمانية الى عهد الاستقلال الحالي .

وفي هذه الناحية الاخيرة فصح المجال الى بحث علاقات بريطانية مع العراق فأصاب في قوله ان اسباب الاحتلال الانكليزي يؤخذ جوهرها من وضع العراق الجغرافي وخطوطه الجوية ومن غناه بالنفط ومن خصوبة اراضيه وتبادله التجاري فكانت تحيقاً لما كان يحلم به الاجانب للامنيات التي اثارها في خيالهم افاصيص الف ليلة وليلة وفيها ما فيها من الاخبار الداعية الى اعتبار العراق من عهد بابل الى عهد هارون الرشيد والدولة العباسية مهداً لحضارة الشرق الادنى ومورداً للتمتع خيرات العالم القديم في اسواقها ومرافقها التجارية .

وتكلم عن استفتاء اهالي العراق بشأن مصير بلادهم فروى عن تصريح

اي. تي. ولسن (ص ٩٧) « ان اليهود طلبوا الادارة البريطانية واقتدى المسيحيون بهم » وقد كان جلالة الملك فيصل في خطابه المذكور سابقاً قد نوّه بوجود الاقليات المسيحية « التي لا يجب ان نهملها نظراً الى الياسة الدولية التي لم تزل تشجعها للطالبة بحقوق غير هذه وتلك » (ص ٧ سطر ٣) واصل في الاسطر ما يعود ببعض اللوم على « اهل الذمة » بشأن معيهم في بلاد تدين بدين الاسلام . وقد كنا نودّ لو عأق المراتف على هذه القضية بكلمة تدور موقفنا نحن المسيحيين من حكامنا المسلمين لان ديانتنا توصينا بالخضوع غلصين الى السلطان ايأ كان ، على ان يحكمنا بالعدل والانصاف ، واذا وقف المسلمون بالجهاد في سبيل حرية بلادهم وسيادتها المطلقة فليس المسيحيون دونهم تحماً لحرية بلادهم وسيادتها على شرط ان تحمي روح التعصب من عقول السواد وهم الاكثرية الساحقة من السكان من ينتسبون الى الحكومة ديناً ليسيظروا على من ليس من دينهم (خطاب الملك فيصل ص ٦ سطر ٢٣ وما بعده) فينقادون الى التأثيرات الرجعية الى الافكار المتطرفة ( ص ٥ سطر ١٤ ) .

وان ننس فلا ننس موقف المسيحيين في لبنان سنة ١٩٣٦ في مؤتمر باريس لما طالب رؤسازهم باستقلال بلادهم المطلق عن اية دولة اجنبية وليس المسيحيون في العراق دون اخوانهم في لبنان حريصين على سيادة بلادهم المطلقة وهم سكانها من قبل الاسلام وبعمده .

ومضى السيد عبد الرزاق الحسني يحدثنا عن الثورة العراقية الكبرى مشيراً الى المراجع التاريخية عن مواقف رجال الياسة العراقيين تجاه رجالات الانكليز طوراً في المذكرات الدبلوماسية السلمية وطوراً في القتال المسلح الى ان تم تنويع الملك فيصل ووضع القانون الاساسي العراقي .

وانتقل في الجزء الثاني من الكتاب الى الكلام عن المعاهدة العراقية والبريطانية في مراحلها الاربع وما يذيلها من الاتفاقات المدنية والعدول عن الامتيازات وفي هذه الصفحات المكتظة بذكرى الحوادث واسماء الرجال مادة تسوغ مطالعتها ويشع منها نور سيبتدي به كل من يعالج تاريخ الشرق الادنى من المؤرخين في الغد مقابلين بين عصر يزول وعصر ينشأ والبلاد تقطع بالسنين

القلائل محطات لم تقطعها على مدى القرن في الحياة الاجتماعية والسياسية وفي  
وعيا القومي .

واليك الجزء الثالث وفي صفحاته ٣٢ الاوليات عالج المؤلف قضية  
الاستقلال المراقي وجاء بنظرات قيمة فيها تطليه البلاد لتستع بيايتها الكاملة  
ولما فرضته عليها جمعية الامم لتجعلها في مصافها مساوية مع كبريات الدول  
بالحقوق والواجبات وترى ان معظم الشروط المطلوبة من المراق تتعلق بقضية  
الجنسيات والاقليات النصرانية والدينية واللغوية وما جاء فيها ( ص ٣١ ) :

« المادة الخامسة : الحق للاقليات في ان يحفظوا ويبدروا ويراقبوا على  
نفتهم او ان يؤسروا في المستقبل مطاهد خيرية او دينية او اجتماعية ومدارس  
وغير ذلك من المؤسسات التهذيبية مع حق استعمال لغتهم الخاصة وممارسة  
دينهم فيها بحرية .

المادة السادسة : توافق الحكومة المراقبة على ان تتخذ بحق الاقليات غير  
المسلمة فيما يتعلق بقانونها العائلي واحوالها الشخصية كل التدابير التي تسمح بتنظيم  
هذه الامور وفقاً لمعادات وعرف الطوائف التي تنتمي اليها هذه الاقليات .

المادة الثامنة : - ٢ - في المدن والجهات التي يكون فيها قم كبير من  
الرعيا المراقبين ممن ينتمون الى الاقليات النصرانية او الدينية او اللغوية يؤمن  
لهذه الاقليات نصيب عادل من حيث التمتع بما قد يرصد من الاموال العامة  
بموجب ميزانية الدولة او البلديات او غيرها من الميزانيات للعقاصد التهذيبية او  
الدينية او الخيرية ومن حيث استعمال الاموال المذكورة .

وقال ( ص ٣٦ ) عن حرية الضير ان المراق يتعد بان يؤمن ويضمن في  
جميع اراضيه حرية الضير وحرية ممارسة العبادة وكذلك اعمال البعثات  
( الارساليات ) الدينية من جميع المذاهب في الامور الدينية والمدنية والطبية  
مهما كانت جنسية هذه البعثات او جنسية اعضائها .

ومضى المؤلف يكلتنا عن الوزارات المراقبة في عهد الانتداب البريطاني  
فكان عددها اربع عشرة وزارة . فضل لكل واحدة منها فصلاً جاء على  
ذكر وزرائه وبرامج حكومتهم واعمالهم ونتائجها ، اما في عهد الاستقلال فقد

وهناك القضية الكردية وما إليها من مسائل الاشوريين والحوادث الدامية التي وقعت في تلك الايام العصية وعسير خوض غمارها لتسييز مواطن المسؤولين فيها فلم يحجم المؤلف عن ابداء نظراته فيها . ان مشاكلها عويصة وتبعت ما يؤسف له من النكبات المشوكة بين الكثيرين بما لا يسع المقام التوسع به . وانتهى الكتاب في الفصل الخامس عشر وفيه المقال على حدود العراق بينها وبين تركيا وايران والتجد ، ومن المعلوم ان المؤلف في سنة ١٩٤١ أبعد عن وطنه لمدة اربع سنوات في غضوناتها تسنى له ان يتأمل ويفكر ويعتبر واذا كتب فيقول ( ص ٣ الجزء الاول ) قد كلفتنا صياغة بعض هذه الفصول جهداً كبيراً وصولاً الى الحقيقة . منها كانت مرة او حلوة . وقال بتحفظ وتواضع يستحق الثناء . » ان بيننا وبين النضوج العلمي الذي يتطلبه القرن العشرين مراحل لا يتسنى قطعها بسر » ، وقتل بشمر معروف الرصافي :

فما كُتِب التأريخ في كل ما روت لقرونها الا حديث ملق  
نظرنا لأمر الحاضرين فراينا فكيف بأمر الغائرين فصدق ؟  
ما يزيد ما قلناه سابقاً ان البعد في الزمان لا بد منه للالام بسائر اطراف  
الحوادث وعلاها ونتائجها للوقوف على الحقيقة التاريخية بدم ثابته لا تخفى الدليل

ص ٢٧٢ قطع ٨ - مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٧١ هـ ١٩٥٣ م ثمنه ٥٠٠ فلس

تأليف السيد عبد الرزاق الحني

هذا الكتاب فيه خلاصة المؤلف المذكور سابقاً « تاريخ العراق السياسي الحديث » وفيه قطعات جديدة عن الحركة الداخلية التي قامت بها الجماعات السرية

وعن اثرها في الثورة المراقية فيرى المؤلف ان المحدثين احجبوا عن الخوض في تاريخها اما الانكليز فلم يكتب عنها احدهم كتاباً الا الجنرال هالدين Haldane وكان قليل الحجة بأهداف البلاد الوطنية ففاجأته اخبار الثورة عن غير استعداد لها وأنهم بالتصغير في تمة واجبه ؛ الا ان السيد عبد الرزاق استفاد من كتاب هالدين واستند الى غير ذلك من المصادر ومن التعليقات شأنه فيما تكلمنا عنه من مؤلفاته وذهب يعرفنا خاصة برجالات المراق من اعيان ومشايخ وزعماء قبائل ولكنهم صورهم في الكتاب وذكر تفاصيل الممارك وما مني فيها الطرفان من جرحى وقلى فدون للخلف اخباراً يعمل عليها الخاصة من المؤرخين ويستطيعها عامة القراء .

### تاريخ نصارى المراق

منذ انتشار النصرانية في الاقطار المراقية الى ايامنا

مطبعة المنصور - بغداد ١٩٤٨ ص ١٨٨ قطع ٨

تأليف رفائيل بابو اسحق .

وهل من محل لهذا الكتاب بين الكتب التي وصفناها وفي مئات الصفحات منها لا يكاد يكون للنصاري ذكرٌ او اذا ذكروا فذكروا بين الاقليات من يهود واكراد ويزيدية وصابئة واذا ظهر بينهم « الاخطل » الرببي شاعر بني امية النصراني اوخذت الحكومة العراقية بتسمية شارع من شوارع بغداد باسمه لانه « هجا العرب والمسلمين »<sup>(١)</sup> ولكن قال المؤلف في المقدمة :

« ان نصارى العراق لمن مكانه القدامى . وقد شاركوا مواطنيهم في السراء والضراء وما يرحوا الى اليوم يشاركونهم في الضيق والرفاه . فخدموا الوطن ورفعوا منار العلم ومهدوا وسائل التهذيب . ومنذ القرون الاولى للبلاد جروا في حلبة المعارف وتسبقوا في ميدان الصناعات . قضاوا من العلوم وشادوا المدارس واقاموا المستشفيات . وفي الوقت نفسه نبغ منهم العلماء والاطباء والفلاسفة الذين لا تزال مصنفاتهم الى اليوم مورداً تستمد منه الافهام والاقلام . »

(١) راجع الكتاب الموصوف سابقاً « الحفائى الناصنة » (ص ٧) .

تكلم المؤلف عن تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في اقطاره الى ايماننا ملخصاً تقلبات احوالهم الاجتماعية والادبية والاقتصادية عصرًا عصرًا. وما قاسوا من احوال المحن في مطاوي السنين . وذكر اشهر كتابهم في عالم الادب وما صنعوا من الاسفار النفيسة وبين خدماتهم في سبيل تقدم العلوم وما اتوا من الاعمال الخالدة لحير الانسانية مقتداً على اصدق الكتب مشيراً الى اخص مراجعها .  
فله الشكر فيما ابداه من الاجتهاد وفيما يعوذ منه على خير البلاد بتشجيع سكانها المسيحيين على مثابة الصل في سبيل عمران العراق وتوحيد صفوف السكان تحت راية ملوكهم العظام .

### ليالي السمر

ص ٦٦ قطع ١٢ كبير - المطبعة المصرية - حله ، العراق ١٣٢٠ هـ ١٩٥١ م

تأليف عبد الصاحب عبيد الحلبي

هذا ديوان زجلبي او في الشعر العامي ضم فيه المؤلف الى شعره عدة قصائد لشعراء العراق المحدثين ... وفيه محاسن اللغة العامية العراقية وما فيها من الفاظ وتعبير شمية تروق دراستها الباحثين في هذه الناحية من اللغة العربية. اما معانيه فاراني محتاراً في الكلام عنها واكثرهما يذكّرنا بعصر المجون والسكر وبأهل صادوم . وقد تنسّى لهذا الجيل الناهض النسيء وراة الفن الشعري الموسيقي الباعث الى رفع القلوب عن الماذات اللعية الى جو الفن الذي يسبح فيه العالم المتسدد وما اخرجنا الى فنانين يأخذون بمذاهب الموسيقى على اصولها ويمطرون عليها المشائين والمغنين في المسارح فتكون مدرسة للشعب . وما يؤلم قراءته ان العاطفة الدينية لم تنطفئ في هذا الكتيب وقد ينم عنها شيء من الشعر كهذا وفيه وصف ليله وانت اعلم بمن هي ليله :

ليه مريم المذره اشما (كيفها) توصف يلوك (يايتي) الها (لها)

انشد الشاعر شعره الكفري وهو مع ذلك مؤمن بالله وباليوم الاخير وقد قال ( ص ٦١ سطر ٩ ) :

« لو ما اكر يوم الحساب واخشي النار ... لا عبدها »

ولو كان غير مؤمن لاحتج بالحاده في الكتابة عن عبادة المخلوق دون الخالق وبنس العبادة هي .

### ميزانية الدولة العراقية

تحضيرها وتحليلها - تأليف احمد عبد الباقي ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م

طبع بدار الكتاب العربي بصرى ١٦١ قطع ٨ كبير ، منشورات مكتبة المتنبي

قال المؤلف (ص ٣) « لا تزال اكثر مشاكل بلادنا غير مبهرث فيها بأسلوب علمي يضع صورة واقعية صحيحة لها » فكان دأبه سدّ شتتاً من هذا الحلل فحاول دراسة الميزانية العراقية وقد رجع بها الى المصادر الاولى من اللوائح والقوانين والتقارير الرسمية في القانون الاساسي العراقي وفي النظام الداخلي لمجلس النواب وفي تقارير لجن الامور المالية من السنة ١٩٣٢ الى ١٩٤٤ فبحث اولاً شؤون الميزانية على العموم في اهميتها وتنظيمها وفي طرق تحمين المدخولات والمجروفات وفي تأثير الاعمال العمرانية فيها والحق درسه بالكلام على ميزانية الاوقاف وعلى الحركة الاقتصادية في مديرية السكك الحديدية وفي ادارة ميناء البصرة وفي حفر سدّ الفاد وفي الاعمال العمرانية المتعلقة بأري وطرق المواصلات وتشبيد الابنية الحكومية ومدّ الخطوط التلفونية وغير ذلك . وما يلفت النظر ان حصة الحكومة من شركة النفط كانت وسيلة فعالة لا يستهان بها لتنطية العجز في المالية في النفقات .

واقاد كثيراً بضرب الجداول المفصلة للمدخولات والمجروفات فاستعنى نظر الخاصة من الباحثين وترب الى العامة معرفة احوال البلاد المالية فتغال في شرونها اذا قابلت بين ارقام وارقام على تعاقب السنين فترى مثلاً في ذلك ان في السنة ١٩٣٢ كانت المدخولات مائتان واربعمائة وثمانون ألفاً وثمانمائة وثمانون والمجروفات ٣٤٦١٨٢٧٦٤ وفي السنة ١٩٤٠ كانت المدخولات ٩٤٨٥٤٣٣٨ والمجروفات ٩٤٨٥٤٣٣٩ مما يدل على زيادة ثروة البلاد مع ترقياها في سبل العمران . فنشكر المؤلف بمجته ونسني للقطر الشقيق اطراد النجاح الاقتصادي دعامة للنجاح في سائر النحا . الحياة الادبية والروحية .

## في سكون الليل

تأليف ابراهيم يعقوب عوبديا

مطبعة الاتحاد بمصر ص ١٤٩ قطع ٨

جميلة هي القصائد ا انشد فيها الشاعر ولاءه لبلاده وتغنى بحاسن طبيعتها  
بين الانوار والرياحين وعبر عما يخالج في فؤاده من عواطف مؤثرة ورثى احوال  
البائسين وتعدى لصوت الحياة المتعاضد من الآفاق المراقية فاحسن واجاد .

## التيار

نظم الاستاذ احمد الرصافي

دار مطبعة البقعة المرية دمشق ص ١٤٠ قطع ٨ كبير

هو ديوان شعر اعجبت به لجنة الترجمة والتأليف والنشر المراقية فقررت  
طبعه . فيه الشعر المنسجم والشعر الرقيقة ونغمات الطبيعة الساحرة . . . وعليها  
مسحة من حزن وحداد نظمها الشاعر العراقي وزار سورية ولبنان فتغنى بحاسن  
حياة وزحلة وريوع ساحل البحر المتوسط فاطربنا .

## التربية - حقائقها واصولها الاولى

تأليف السير برسي ن - تعريب عبد العزيز ابراهيم البسام

الطبعة الاولى ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م . مطبعة المعارف بغداد ص ٢٨٤ قطع ٨ كبير

هذا الكتاب وضعه استاذ التربية وعميدها في جامعة لندن « عالج فيه  
شؤون التعليم ببصيرة الفيلسوف ودقة العالم وحماسة المصلح الاجتماعي » وهو  
انكليزي وان يأتي على رواية اقوال او آراء من كتبوا في هذه الناحية من  
المان وفرنسيين وغيرهم فالمؤلفون الذين جاء ذكرهم في المراجع التي ذيل بها  
الفصول كلهم انكليز واساليب التربية التي دل عليها معزوفة خاصة في بلاد  
الانكليز وان معرب هذا الكتاب عراقي ولا بد انه فطن الى كون التربية  
في بلاده مع المنافع التي تنالها من اتخاذ الوسائط الحديثة في التعليم بالاطلاع  
على تحقيقاتها في بلاد الغرب لا بد من ان تتكيف بطوائف البلاد العربية وكل ما  
يصلح للغرب وساخه وامزجة اهايه لا يصلح طراً لبلادنا ويا ليت زاد بحاسن ترجمته  
فعلن عليها من عندياته الفوائد التي تساعد في تطبيق حقائقها واصولها على بلادنا .  
وان المؤلف ذهب في الكلام عن هدف التربية وعن الحياة وعن درس

طبيعة الانسان في الطفل وتطورها مذهب الراوي المستعرض لآراء الباحثين في هذه الناحية فيفيدنا الاطلاع عليها تتقفاً وجدالاً لكن كثرة الآراء وتعدد الاسماء الاجنبية المستعجة على القارئ العربي تغشي صفحات المؤلف بنشأ شبه منه باضباب الانكليزي وليست المعطلحات الانوية التي جاء بها المغرب لتعريب الالفاظ المختصة بهذا النوع من الفن لتفك المائي المقدة في الاصل . ولم يفـ صفاف الحروف العربية بما يطلب منه من الاتقان في ضبط الحروف ولا تكاد صفحة من الكتاب تخلو من حرف مشوه مما يزيد في صعوبة مطالعته .

جاء في ص ٢١٩ : عن «الدعاية» انها «جهد منظم لاذاعة المذاهب الجديدة ولكسب الاتباع والمشايعين» وعلقت على الكلام في ذيل الصفحة بهذه العبارة « وردت هذه الكلمة في عنوان مؤسسة كاثوليكية ( ١٦٢٢ ) Congregatio de « Propaganda لتذيع ما ترى لجنة من الكاردينالات انه صحيح » . وهذا خطأ لانه بتر كلمة ( fide ) من آخر العبارة المذكورة وهذه الكلمة جوهرية لفهم المعنى وليست البروباغانده « دعاية » بل هي جمية لنشر الايمان في البلاد الغير المسيحية اسما البابا اكلينخوس الثامن سنة ١٥١٧ ونظمها البابا غريغوريوس الثامن عشر سنة ١٦٢٢ للتبشير بالانجيل .

على ان الحلل العظيم في هذا الكتاب هو انه يتناول بحث تربية الانسان المتطور بطبيعته ويغفل عن كون لهذا الانسان غاية قصوى وهو الله ولا يقدر حق قدرها التقيم الروحانية في التهذيب .

واذا لفت النظر الى التربية الدينية « وحالتها السيئة » قال : « وايس هناك من امل لعلاج هذه الكارثة حتى يمكن تحليل جوهر الدين وتاريخ تطوره باعتباره ضرباً من النشاط الطبيعي للنفس الانسانية ، تحليلاً صحيحاً . وحتى توضع اصول لتعليه قائمة على التحليل ثم تطبق هذه الاصول بمجلس وجرأة » (ص ٣٦٦) فترى من كلام المؤلف انه لم يتثبت بعد في المبادئ الدينية تثبت اليقين وهذه النتيجة انما هي التي تزدي اليها التربية البروتستانتية ... فينشأ منها الانسان ... « على بياض » من كل عقيدة . وان نتختم بوصف هذا الكتاب كلامنا عن « التاريخ وما اليه » فلنا نخرج عن الموضوع لان التربية تمهد السيل الى الاعمال والحوادث والايام التي يتكون منها التاريخ .



